الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
معهد العلوم الإسلاميّة
قسم أصول الدّين

الشيخ علي يحيى معمّر وجهوده في الدّعوة إلى الإباضيّة

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلاميّة: تخصّص: الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة

إعداد الطالب:
البشير مسعي محمّد

إشراف:
أ. الطّاهر اعمارة الأدغم

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د. الجبّاري عثماني	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
أ. الطاهر اعمارة الأدغم	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
د . بشير بوساحة	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1438 - 1439هـ / 2017 - 2018

الإهداء

إلى بؤرة النّور التي عَبَرَتْ بِي نَحْو الأَمل والأَمَانِي الجميلة

إلَى التي مَهْمَا كَبُرْتُ فسَأَبْقَى طِفْلَهَا الذي يَكْتُبُ اسْمَهَا عَلَى دَفْتَرِ قَلْبِه سَاعَةَ حُزْنِهِ، وَيَهْتِفُ بِفَضْلِهَا حينَ يَتَقَدَّمُ فِي عِلْمِه درجاتٍ ...**وَالِدَتِي الحَبيبَة**...

إلى الذي عَلّمَنِي مَعنَى أنْ نَعيشَ مِن أَجلِ الحقِّ والعِلمِ، لنَظلَّ أحياءً حتَّى لو فَارَقَتْ أرواحُنا أجسادَنا ...**وَالِدِي الحَبِيب**...

إلَى التِي كُلَّمَا تَأَمَّلْتُ فِيهَا استَحْضَرْتُ عَظَمَةَ نِعْمَةَ رَبِّي عَلَيَّ، حِينَمَا أَكرَمَنِي إيّاهَا

زَوجَتِي... **أَسْمَاء** ...

إلى الذي سيحمل اسمي في حياتي وبعد موتي، فلذة كبدي ابني الغالي... **أيمن**...

إلَى إخْوَتِي ... **أسامة** ، **سُهَيل** ... دُمتُم ذُخْراً للأُمَّةِ وحُماةً للوطن

إلَى أَخَواتِي... **آمنة** ، **سَهلة** ... وابنة أُختِي ... **ريهام** ... مع خالص الحبّ وأغْلَى الأُمْنِيات

الباحث: بشير

شكـــر وتقديـــر

: "لاَ يَشْكُرِ الله مَنِ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ"ﷺامتثالاً لقولِه

وإن كان الشُّكر تُرجمان النّيّة ولسان الطّويّة وحبل الإخلاص، فالشّكر موصولٌ:

* إلى **الله الواحد المنّان** الذّي وفّقني بتوفيقه وعونِه.

* إلى أُستاذي المشرف أ: **"الطّاهر اعمارة لدغم"**، الذي تبنّى هذا العَمل بالرّعاية والإشراف، فأحاطه بالمساعدة الصّادقة والتّشجيع المتواصل، فجزاه الله عنِّي خير الجزاء.

* وأوجه شكري لمكتبة **عمّي سعيد** غرداية بالجزائر علَى ما قدّموه لي، فَلَهم منّي كلّ التّحيّة والتّقدير.

* كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر الدّكتور **محمّد بوحجّام** على ما قدّمه لي مِن مساعدة خلال فترة إنجاز هذا البحث.

* إلى كل مَن مدّ لي يد العون وأخصّ بالذكر... **مسعود بديدة** ، **محمد رياض بديدة**...

* وهل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان

الباحث: بشير

المقدّمة

لقد مُنِيَ العالم الإسلامي بصدمة منذ نشأة المذاهب وظهورها على السّاحة، لأنّ كل مذهب يعتقد أنّه على حقّ، فيبذل كلّ ما في وسعه وطاقته لإبراز عيوب الآخرين، ويظلّ البعض يتمادى في عمايته ويتهافت في ضلالته رغم أنّ الإسلام يدعو إلى الوِحدة و التّكامل وينبذ الفُرقة و التّشَتّت...

وهذا الأمر قد وتفاقم بشكل يصعب استئصاله وتنقية المجتمع الإسلامي منه, ولكن لم يكن مستحيلاً إذ ظهرت البوادر التي تُنبِئ بوجود أقلام مباركة سخّرها أصحابها في رفع اللبس و الإبهام الذي لا يزال يخيّم علَى عقول بعض الناس فأَحَقُّوا الحق وحَصْحَصُوا اليقين ولاَحَ المنهاج واضحا.

ومِن بين هذه العقول التّي ما فَتئَتْ تدعو المسلمين إلى الوِحدة ونبذ الخلاف القائم بين المذاهب هذا المفكّر الشّيخ علي يحيى معمّر ـ رحمه الله تعالى ـ فهو وإن كتب عن مذهبه الذي يعتنقه أراد أن يُبيّن للعالَم أنّ هناك فِرقة جديرٌ بأن يُماط اللثام عن وجهها بعد أن طال بها الأمر في طيّ النّسيان، ووُجِّهَتْ إليها تُهَم وأكاذيب مُلفّقة.

وانطلاقاً مِن هذا وذاك جاءت هذه الدّراسة والتي هي بعنوان: "**الشّيخ علي يحيى معمّر وجهوده في الدّعوة إلى الإباضيّة**"، وتندرج تحتها الإشكاليّة التّالية:

ما هي الجهود التي بذلها الشّيخ عليّ يحيى معمّر في الدّعوة إلى المذهب الإباضي؟ وما هو المنهج الذي اتّخذه لنفسه سبيلاً لبيان الحقيقة وطمس الباطل؟

وما دفعني للبحث في هذا الموضوع هو إعجابي بهذا الشّيخ وحِرصه على توحيد صفوف المسلمين، وكذا إعجابي بالكثير ممّن ينتسبون للمذهب الإباضي في الجزائر، في رُقيّ تعاملهم وأخلاقهم، مِمّا دعاني للخوض في هذا الموضوع.

ويَسعَى الباحث مِن خِلال هذا البحث إلى تحقيق جملة مِن الأهداف أهمّها: التعريف بالشّيخ علي يحيى معمّر، وكذا التعريف بالمذهب الإباضي، وإظهار الصُّورة الصَّحيحة لهذه الفِرقة، وكذا تَصْحيح بعض الأفكار والمفاهيم التي زُرعتْ في

أذهان الكثير،كما يهدف إلى عرض الجهود التي بذلها الشّيخ في الدّفاع عن الإباضيّة والمنهج الذي سلكه في هذا المسار.

والمنهج العِلمي الذي نستضيء به في مسار هذا البحث هُو المنهج التّاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التّحليلي، فقد قُمتُ بترجمة الشّيخ علي يحيى معمّر انطلاقاً مِن مولدِه إلى وفاتِه وآثاره، كما عرّفتُ المذهب الإباضي، وعرضتُ الجهود والمنهج الدّعوي الذي سار عليه.

وقد اعتمدتُ خطّةً رأيتُ أنّها الأصلح لمثل هذه المواضيع، قسّمتُ فيها بحثي إلى مقدّمةٍ وثلاثةِ فصولٍ وخاتمة، كما ذيّلتُ البحث بفهارس.

وقد خصّصتُ **الفصل الأوّل** للحديث عن ترجمه الشّيخ علي يحيى معمّر، قسّمتُه إلى خمس مباحث، أشرْتُ في البحث الأوّل لمولده ونشأتِه، وفي المبحث الثّاني زواجه وأسرته، وعرّجتُ في المبحث الثّالث عن حياتِه العلميّة، والمبحث الرّابع تحدّثْتُ فيه عن نشاطاتِه ومؤلّفاتِه، والمبحث الأخير خصّصتُه للحديث عن وفاتِه.

كما تطرّقتُ في **الفصل الثّاني** للحديث عن التّعريف بالإباضيّة، وقسّمتُه أيضاً إلى أربع مباحث، عرَضتُ في المبحث الأوّل نشأة الإباضيّة، وبيّنْتُ في المبحث الثّاني نِسْبة الإباضيّة وتأسيسها، وعرّجتُ في المبحث الثّالث عن أهمّ الآراء العقدية عند الإباضيّة، وفي المبحث الأخير كان الحديث عن أماكن تواجد الإباضيّة.

أمّا **الفصل الأخير** فكان بعنوان الشّيخ علي يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، وقسّمتُه بِدَوْرِه إلى أربع مباحث، اِفتَتَحْتُ المبحث الأوّل بالحديث عن التّخلّي عن العصبيّة المذهبيّة، وذكرتُ في المبحث الثّاني فِكرة إنشاء نظام العزّابة، وبيّنْتُ في المبحث الثّالث جهاده في مسجد الفتح بطرابلس، أمّا المبحث الأخير فكان الحديث فيه عن فتح باب الاجتهاد، وخَتَمتُ بحثي بخاتمة حَوَتْ أهمّ النّتائج وفهارس.

وكما هو الحال في كل بحث أكاديمي، فهو لَا يَخْلوُا مِن صُعُوبات وعَراقيل، ومِن بين هذه الصُّعُوبات:

صعوبة التّنقّل للوصول إلى المصادر الإباضيّة خاصّة، لكونِها غير متوفرة بكثرة في المكتبات العامّة، ممّا دفعني إلى السّفر إلى غرداية، والاتّصال بالمكتبات الإباضيّة هناك، وكذا ضيق الوقت بعض الشّيء مِمّا جعلني أستغني عن بعض المطالب التي تزيد في إثراء هذا البحث.

ولا أدّعي أنّني أتيتُ بالجديد ولكن هي دراسة كحجرِ أساس يُمْكن للباحثين أن يَبنوا عليها أبحاثاً أوسع وأشمل. فما كان في دراستي مِن توفيق فمِن الله الواحد الأحد المنّان، وما كان فيها مِن تقصير أو سهو أو نسيان فمِن نفسي الأمّارةِ بالسوء والشّيطان.

وصلّي اللّهم وسلّم على نبيّك محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأوّل: ترجمة الشّيخ علي يحيى معمّر

المبحث الأوّل: مولده ونشأته

المبحث الثّاني: زواجه وأسرته

المبحث الثّالث: حياته العِلميّة

المبحث الرّابع: نشاطاته ومؤلّفاته

المبحث الخامس: وفاته

المبحث الأوّل: مولده ونشأته

وُلد الشيخ علي يحيى معمَّر بقرية "تكويت" من ضواحي مدينة "نالُوت" الواقعة بالجبل الغربي "جبل نفوسة" بليبيا سنة 1338هـ، الموافق لعام 1919م، نشأ في أسرة متوسطة الحال، وفتح عينية في بيئة متديّنة محافظة على الأخلاق القويمة التّي طبعَتْه على السّجايا الكريمة والسلوك القويم[1].

تُعَدُّ مدينة نالُوت مِن أكبر مُدُن جبل نفوسة تَقَع على قِمّة الجبل، وتبعُد عن العاصمة طرابلس بمسافة مائتين وسبعين كيلومتر، وهي شبه جزيرة حيث يَحدُّها مِن ثلاث جهات أودية عميقة، ومِن الجهة الرّابعة الشّماليّة تحُدّها سهول منبسطة تمتدّ حتّى البحر الأبيض المتوسط، وهي منطقة كثيفة الأشجار، وبالأخص منها شجرة التّين والنّخيل ثمّ شجرة الزّيتون.

كما أنّها تحتوي على مياه عذبة متوفّرة، مصدرها مِن العُيون النّابعة مِن الجبال ومِن الآبار التّي يوجد ماؤها على عمق بسيط، وكذا ما يهتمّ به السّكّان مِن إقامة بعض السّدود لحجز مياه الأمطار المتدفّقة مِن أعالي الجبال والمرتفعات، وبِحسب الوضعيّة الجغرافيّة للمدينة فقد اعتمد أهلها في عيشهم على الفلاحة التّقليدية وتربية المواشي بالدّرجة الأولى، إلى جانب بعض الحِرف الأخرى كالتّجارة والبناء والنّجارة.

وتشتغل المرأة عادة في البيت بالقيام بشؤونه وتربية الأبناء ورعاية الأسرة، وتمتهن الحياكة والنّسيج، حيث تُعتبر هذه الحِرفة مِن النّاحية الاقتصاديّة في الدّرجة الثّالثة بعد الفلاحة والثّروة الحيوانيّة[2].

---

[1] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث، مراجعة: بكير بن محمّد الشيخ بالحاج، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر ،طبع المطبعة العربيّة، غرداية، ط3، 1423هـ/2003م، ص: ذ .

– انظر: علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابزيز، مكتبة الضامري للنّشر والتّوزيع، السّيب، سلطنة عمان، ط3، 1429هـ/2008م، ص8.

[2] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، تقديم: محمّد بلقاسم ناصر بوحجّام، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر، طبع المطبعة العربيّة، نهج طالبي أحمد، غرداية، ط1، 1424هـ/2003م، ص14.

ويبلغ عدد سكّان مدينة نالوت والقرى المجاورة لها حوالي ألف وخمسمائة نسمة (1500) حسب إحصائيّات 1980م، ويتكوّن أهلها مِن ستّ قبائل هي: أولاد الدّير والعساكرة وأولاد عون الله والعزّابة والمقادمة وأولاد إبراهيم، وتحتوي كلّ قبيلة على مجموعة مِن اللُّحم أو العائلات

هذا عن النّاحية الجغرافيّة العمرانيّة أمّا مِن النّاحية الثّقافية فقد وصفها الشّيخ أبو العبّاس الشّمّاخي بمدينة الأشياخ والعِلم، حيث نشأ وبرز فيها عدد مِن العلماء والمشايخ نذكر منهم الشّيخ أبا الرّبيع سليمان بن هارون والشّيخ أبا سهل والشّيخ أبا زكريّاء يحيى بن سفيان.

كما عرفتْ كذلك بروز عدّة نابغات مِن النّساء أمثال: زينب اللّالوتيّة وأمّ سحنون اللّالوتيّة[1]، هذا ما يدلّنا على أنّ المدينة كانت حافلةً بمراكز العلم والتّعليم، وشهدتْ فتراتٍ مِن الإشعاع على المناطق المجاورة لها مِن جبل نفوسة بخاصة.

أمّا عن عائلة علي يحيى معمّر فقد كانت تسكن بالقرب مِن قرية تكْوِيت، في منزل ريفيٍّ بسيط، وتعتمد في عيشها كسائر أهالي القرية على ما تنتجه الأرض مِن المواد الغذائية وكذا على تغذية المواشي، إلى جانب ما تُسهم به الزّوجة والأمّ اللّيبيّة ـ كإعانةٍ لزوجها بعد فراغها مِن شؤون منزلها ـ مِن الصّناعات اليدويّة التّقليدية كالحياكة والنّسيج، وهو شأن أغلب الأسر اللّيبيّة المستوطنة للأرياف والقرى[2].

ومِن ناحية الثّقافة والعِلم فإنّ أسرة الشّيخ علي يحيى معمّر لم يُعلَم لها مكانة أو مستوى في ذلك، إلاّ بعض المبادئ الأساسيّة التّي ينبغي أن تتعلّم بالضّرورة ولا يسع مسلم جهلها،كحفظ جزء مِن القرآن الكريم ومعرفةٍ بأصول الدّين وأركانه والفرائض اللاّزمة على كلِّ إنسان بالغ، حيث يتلقّاها أيّ فرد ينشأ في بيئة محافظة متشبّثة ومعتزّة بدينها وتاريخها وأصالتها، وهو در مشترك بينهم جميعا.

---

[1] – أمّ سحنون اللّالوتيّة (ق 4هـ/10م): إحدى فذّات النّساء ببلدة لالوت في جبل نفوسة بليبيا. عالمة ناصحة، كثيراً ما يزورها المشايخ للاستفادة مِن علمها ونصحها، فقد كانت على حدّ تعبير الشّمّاخي: "أفضل عجوز بالجبل"، تركتْ أقوالاً مأثورةً في الحكمة، ذكر بعضا كُتَّاب السّير. انظر: جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السّين إلى الغين، نشر جمعيّة التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، دون طبعة، 1420هـ/1999م، ص349.

[2] - قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص15.

وإن لم يكن لهذه الأسرة حظّ مِن العِلم بسبب ظروف ذلك العصر فقد كانت على جانب كبير مِن التّديّن والأخلاق الرّفيعة والمحافِظة على القِيَم والمبادئ، استطاعت أن تُنشِئ ابنها عليها،فشبّ نسخةً طِبق الأصل لها.

ويبدو أنّ والده الذي لم تُتِح له الأقدار ليتعلّم كان مُحبّاً للعلم وأهلِه، حيث تمنّى أن يرى ابنه يوماً ما قد بلغ شأناً كبيراً في هذا المجال، فبالرّغم مِن ضعفه المادّي فقد تركه ليواصل دراسته في وطنه ثمّ خارجه في رحلة علميّة استمرّت لفترة طويلة، ولم يعترض طريقه طالباً منه مساعدته في كسب القوت الصّعب المنال آنذاك.

أمّا عن نَسَب علي يحيى معمّر فإنّه يتّصل بلُحْمَة بني زكريّاء، أحد فروع قبيلة المقادمة التّي تُعتَبر أكبرَ القبائل النّالوتيّة عدداً[1].

المبحث الثاني: زواجه وأسرته

لا تُخبر المصادر عن معلومات تفصيليّة عن عائلة والده يحيى، لكن ما يُعرَف أنّ لِعليّ يحيى معمّر أُختاً واحدة دون أن نعلم هل له إخوة آخرون أم لا؟ وبمجرّد أنْ عاد إلى بلده نالوت سنة 1945م بعد رحلته العلميّة الطويلة شجّعه والداه على الزّواج، وبلا شكّ أنّهما قد كَبُرَا في السِّنّ، هذا ما جعَله يستجيب لطلَبِهما مباشرة. وتذكر المصادر أنّ أباه قد تَكفّل هو بمصاريف زواجه رغم حالته المعيشيّة العسيرة التّي كان على شاكلتها أغلب أهالي البلدة.

أمّا عن عائلته التّي أصبحتْ مُتكوّنة مِن والدين وزوجة فقد بدأتْ تكبُر بمرور السّنين، حيث خلّف الشّيخ علي معمّر تسعة أبناء، سبعة ذكور وبنتين، أمّا الذّكور فهم بالترتيب حسب أعمارهم تنازليّاً: محمّد، خالد، يحيى، فريد، حسن، عبد الله، عيسى، والبنتان هما: سعاد، سلمى. كما انّه تزوّج زوجة ثانية في مرحلة لاحقة مِن حياته[2].

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص16.

[2] – المصدر نفسه، ص16–17.

المبحث الثالث: حياته العلميّة

المطلب الأوّل: في ليبيا

كانت أسرة الشّيخ علي يحيى معمّر تسكن في قرية "تكويت" إحدى قرى ضواحي نالوت، وعندما تأهّل للدّراسة أدخله والده كتَّاب القرية، الذّي كان يُشرف عليه الشّيخ العزّابي عبد الله بن مسعود الكباوي، فأخذ مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ قسطاً مِن القرآن الكريم.

ثمّ التحق بالمدرسة الابتدائيّة التي فتحتْها الحكومة الإيطالية، وسرعان ما ظهر نبوغه، وتجلّتْ مواهبه بين زملائه، مِمّا لفت إليه نظر أستاذه الشّيخ عيسى بن يحيى الباروني[1] الكباوي[2].

ويبدو أنّ والد علي معمّر في بادئ الأمر لم يرغب في إلحاق ابنه بهذه المدارس الرسميّة المدارة من الاستعمار، حيث كلّما طُلِب منه إرسال ابنه إليها تعذّر بحجّة صغره وضعفه وكونه لا يقوى على مزاولة التّعليم، وذات يوم قدِم مِن الرّيف إلى المدينة مصحوباً بابنه عليّ وبينما هو في الشّارع يقضي حوائجه التقى به الحاكم العسكري فسأله: أهذا هو ابنك عليّ يا عم يحيى، فأجاب: إنّه هو. وكان الولد في صحّة وقوام جيّد. فقال له الحاكم: غداً سيكون في المدرسة مع بقيّة التلاميذ، وإلاّ

---

[1] – عيسى بن يحيى الباروني(و:1347هـ/1928م) : مِن سلالة البارونيّين المشورة بنالوت بجبل نفوسة بليبيا. درس بمعهد الحياة بالقرارة (1946–1951م)، وحصل على دبلوم المعلّمين مِن مدينة طرابلس الغربي. اشتغل بالتدريس، فمديراً لمدرسة البنات القرآنيّة بطرابلس، ثمّ اشتغل بمدرسة القدس الابتدائيّة بطرابلس.

– جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السّين إلى الغين، مصدر سابق، ص697.

[2] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السّين إلى الغين، نشر جمعيّة التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، دون طبعة، 1420هـ/1999م، ص619.

– علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ر.

– علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص8.

سيكون مصيرك السّجن. فلم يجد الوالد ما يقول ولا ما يفعل إلا الامتثال للأمر فأدخل ابنه المدرسة[1].

إن هذا الموقف المُتّخَذ مِن الوالد مِمّا لا شكّ فيه هو الواحد مِن بين كثير مِن أمثاله وهو يحمل أكثر مِن دلالة ومعنى على تلك المناعة والأصالة التّي كان عليها المجتمع الإسلامي في الكثير مِن الأقطار ولا يزال، إلى حدّ الغلو والمبالغة أحياناً، إذ ينتابهم الخوف والشّك والحذر مِن كلّ ما بِه مسّ مِن المُستعمر ولو كان فيه منفعة لهم ولأبنائهم. حيث يعتقدون يقيناً أنّه لا يخلو مِمّا يُمكن أن يخدش في المبادئ والثوابت أو يزرع الشّكّ في عقول النّاشئة.

في هذه المدرسة الرّسميّة الجديدة تفتّقتْ مواهب التلميذ عليّ وبدأ ذكاؤه وفطانتُه يظهران جليّاً بين زملائه التّلاميذ، وهو بدوره أبدى الرّغبة في التّعلّم والحرص على نيلِه، هذا الذّي جعل أستاذه الشّيخ عيسى بن يحيى الباروني يوليه اهتماماً خاصاً وعنايةً أكبر، حيث اصطفاه وقرّبه إليه، فكان غالب حديثه معه حول العِلْم، فإلى جانب دروس المدرسة الملتزمة بالبرامج والمناهج المحدّدة مِن الحكومة كان يُلقّنه دروساً أخرى في البيت، أثناء أوقات فراغه في علوم أخرى كاللّغة والفقه والأدب، وما إن مرّتْ فترة على ذلك حتّى لمع نجم التّلميذ بين زملائه وكان متقدّمهم في النّتائج.

فمرّ التلميذ عليّ في هذا التّعليم مدّة أربع سنوات في تلقّي العلوم الابتدائيّة في المدرسة الرسميّة إلى جانب الدّروس الإضافيّة خارجها[2].

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص20.

[2] – المصدر نفسه، ص21.

وجاء إلى ليبيا عالم مِن علماء جربة ليُدرِّس الفقه الإباضي، وجملة مِن العلوم الشّرعيّة، هو الشّيخ رمضان بن يحيى اللّيني الجربي[1]، فانضمّ إلى حلقاته، ولازمه في أوقات فراغه.

وقد تلقّى على يديه مبادئ العلوم الدّينيّة واشتغل بها موازاة مع دراسته في المدرسة الرسميّة، غير أنّ الشّيخ رمضان لم يُقم كثيراً في نالوت بل عاد بعد سنتين إلى وطنه جربة[2].

المطلب الثّاني: في تونس

أوّلا: في جزيرة جربة

وفي سنة 1927م رجع الشّيخ اللّينيّ إلى جربة، فلحقه تلميذه الطّموح، والتحق بحلقاته[3]، ولعلّ الطّالبَ عليّ وجد عند شيخه اللّينيّ ما يُشبِع نَهَمَه العلمي ما لم يجده عند غيره، فما لبث إلا بضعة أشهر حتّى التحق به وانضمّ إلى حلقته في بلدة (آجيم)[4] مِن جزيرة جربة، وكان ذلك خلال سنة 1927م، دامتْ دراسته هناك على شيخه اللّينيّ سنةً وبضعة أشهر[5].

---

[1] – رمضان بن يحيى اللّيني الجربي(و:1285هـ/1868م – ت: 1366هـ/1947م): مِن علماء جزيرة جربة التي بها وُلد وحفظ القرآن بالتلقين، لأنّه كان كفيف البصر، وأخذ العلم با عن الشّيخ صالح المعدى. ثمّ سافر إلى مدينة تونس ودخل جامع الزّيتونة ومكث به عامين، ثمّ رحل إلى مصر، ودرس بها أيضا، فلمّا أراد الاستزادة اتّجه إلى معهد القطب اطفيّش بميزاب، متعلّماً عنده، ومساعداً له في تدريس الحساب والفرائض، وقد خصّه أستاذه بدرس آخر في غير الوقت العام للطلبة، يقول عنه أبو اليقضان: "وفي هذه الظروف تلاقيتُ به في مجلس الشّيخ عام 1326هـ/1908م... وتلقّيت منه دروس الصّرف مِن شرح لامية الأفعال". عاد إلى جربة للتعليم في بعض مساجدها، وخلال العشريّة الرابعة من القرن الرّابع عشر استدعاه أهل نالوت بليبيا لتدريس الفقه الإباضي فلبّى طلبهم ولبث هناك نحو عامين، وكان ضمن ثلامذته: الشيخ عليّ يحيى معمّر.

– انظر: جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 2، مِن حرف الألف إلى الزّاي، مصدر سابق، ص307.

[2] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص8.

– انظر: علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ر .

[3] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السّين إلى الغين، مصدر سابق، ص619.

[4] - لم أحصل على تعريفها

[5] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص9.

ومِمّا يبدو أنّ الشيخ رمضان اللّيني استطاع أن يترك فؤاد تلميذه متعلّقاَ به، إذ بعد مغادرته نالوت بفترة قصيرة، لا تتعدّى مجموعة أشهر شدّ الرّحال إلى جزيرة جربة بتونس ليواصل دراسته هناك بالمدارس الإباضيّة فالتقى مرّة ثانية بشيخه وانضمّ إلى حلقاته وواصل حفظ القرآن على يده.

وقد كانت دراسته بمدرسة جامع (لِيمَسْ) بِبَلدة "آجِيم"، المُطِلّة على ساحل الجزيرة، أمّا مسكنه فكان بأحد بُيوت الطّلبة بجامع ابن عبّاس في الجهة القبَليّة مِن البلدة، وقد دامت دراسته على يد الشّيخ اللّيني سنة وبضعة أشهر. كما كان في ذات الوقت يُسهِم في إلقاء بعض الدّروس على الطّلبة المبتدئين في جامع ابن عبّاس حيث كان يُقيم.

ولعلّ هذا العمل الذي أُنيط به وهو في هذه السّنّ المبكّرة مِن عُمره لَيدلّ على بداية تمكّنه مِن بعض العلوم وعلى الثّقة التي وُضِعتْ فيه وعلى قدرته لتحمّل المسؤوليّة.

وربّما كان هذا العمل في نفس الوقت موردا لكسب بعض المال الذي بلا شكّ كان في أمسّ الحاجة إليه وهو في ديار الغربة بعيداً عن أهله، لتلبية بعض حوائجه الضّروريّة حتّى لا يبقى عالةً على غيره.

هكذا نجد الطّالب عليّ معمّر يعتمد على نفسه ويتحمّل مسؤوليّته ويعيش حياة الاغتراب وهو لا يزال دون سِنّ الرّشد[1].

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص24.

ثانياً: في جامع الزّيتونة

بعد ذلك انتقل إلى صفوف جامع الزّيتونة العامر[1] ، وحيث حلقات العِلم المزدهرة، فدرس علَى أيدي علماء كبار مختلف العلوم والفنون، وإلى جانب ذلك كان يحضر حلقة الشّيخ محمّد بن صالح الثّميني[2] التي كان يُلقي فيها دروساً في العقيدة والفقه وغيرها علَى طلبة البعثة الميزابيّة بتونس[3].

إنّ طموح الطّالب عليّ لمواصلة طلب العِلم والحصول علَى المراتب العليا فيه جعله يُغادر جزيرة جربة بعد حوالي سنة ونصف قاصداً العاصمة تونس حيث جامع الزّيتونة وحيث حلقات العِلم المُتنوّعة والمزدهرة وحيث العُلماء والمشايخ في مختلف الفنون[4].

ولا تذكر لنا المصادر مشايخه الذين يكون قد درس عندهم آنذاك، لكن إذا رجعنا إلى تلك الحقبة نجد مجموعة مِن العلماء والمشايخ قد تصدّروا التدريس في جامع الزّيتونة أمثال: الشيخ الطّاهر بن عاشور والشّيخ محمّد بن يوسف الحنفي والشّيخ محمّد النّخلي والشّيخ عثمان بلخوجة. فيمكن أن يكون قد تلقّى العلوم على بعض هؤلاء المشايخ دون بعضهم.

---

[1] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السّين إلى الغين، مصدر سابق، ص619.

[2] – محمّد بن صالح بن يحيى بن عيسى الثّميني (و: 1314هـ/1897م – ت: 1390هـ/13أكتوبر 1970م):أحد أفذاذ مدينة بني يسجن ورجالها المخلصين. برز في ميادين عديدة، وساهم مساهمة فعّالة في الحركات العلميّة والاجتماعيّة والسياسيّة. ترك بصماتٍ هامّةً في تاريخ ميزاب والجزائر وتونس. أخذ مبادئ العلم ببني يسجن عن الشيخ إسماعيل زرقون، والشّيخ الحاج إبراهيم بن محمّد بن إدريسو، ثمّ عن قطب الأيمّة محمّد بن يوسف اطفيّش. وفي سنة 1917م سافر إلى تونس لاستكمال دراسته بجامع الزّيتونة، وتخرّج فيه على يد علمائه، ومنهم: العلاّمة محمّد الطّاهر بن عاشور، والشّيخ أبو الحسن النّجار، والشّيخ محمّد بن يوسف. قال عنه أبو اليقظان: "مِن المفكّرين في وضع خطط عريضة لإنشاء جريدة وادي ميزاب... وعُهِد إليه بتصحيح وتنسيق الجريدة (وادي ميزاب) بتونس إلى غاية آخر عدد سنة 1929م". شارك في إنشاء جمعيّة الاستقامة الخيريّة بمدينة قالمة شرق الجزائر، وتولّى رئاستها وإدارة مدرستها سنة 1930م.

– انظر: جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء4، مِن حرف الفاء إلى الياء، مصدر سابق، ص802.

[3] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص9.

[4] - قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص25.

وفي تلك الأثناء لم يقطع الطّالب عليّ صلته بِجربة، حيث كان يزورها بين الحين والآخر في أوقات العُطل والمناسبات، يلتقي بشيخه رمضان اللّيني لِيعرض عليه ما استزاده مِن العلوم ويستشيره ويُحاوره في القضايا التي تكون قد شغَلتْ باله ولم يجد لها تفسيراً أو فهماً وهو في تونس بين حلقات العِلم بالزّيتونة، ولِينقل إليه أخبار وأحوال البعثات الميزابيّة ونشاطاتها في العاصمة.

وفي إحدى هذه الزيارات التي كانتْ في عطلة الصّيف أنشأ مَع جماعة مِن زملائه الطّلبة والشّباب الجِربي الغيور علَى دينه جمعيّة دعويّة[1] مُهمّتها تولّي الأمر بالمعروف والنّهي والدّفاع عن الإسلام .

ولا تذكر المصادر بالتّحديد متى كان ذلك، وما هي الأسباب التي كانت وراء تكوينها وما هي الأعمال التي قامت بها، ويبدو أنّ ذلك كان في الفترة الأخيرة مِن إقامته بتونس أي حوالي سنة 36/ 1937م، وعمره آنذاك يقترب مِن ثماني عشرة سنة، وهو عُمْر ينسجم مع بداية العمل الجمعوي والدّعوي، أمّا عن أعمالها، فبالنّظر إلى موقع جزيرة جربة السّياحيّة وجمال طبيعتها وانسجام مناخها فإنّها ستكون محطّ أنظار الأجانب مِن مختلف الجنسيّات كما هي عليه في يومنا هذا. هؤلاء الذين عادةً ما يقدُمون بعاداتٍ وطبائع مختلفة للدّين والمجتمع الإسلامي، بل أكثر مِن ذلك تكون هدّامة لها، لذا فمِن الاحتمال الكبير أن يكون عمل هؤلاء الشّباب في جمعيّتهم في هذا الميدان، في محاولة التّصدّي لهذا الغزو وتحصين المجتمع مِن الشّرور التي يمكن أن تصيبهم بالانسياق وراءه[2].

[1] - لم أحصل على تعريف للجمعيّة

[2] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص25.

المطلب الثّالث: في الجزائر

في أثناء دراسته بتونس بلغتْه أصداء الحركة العلميّة الإصلاحيّة بميزاب التي تزعّمها الشّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض[1]، والذي أسّس معهداً متطوّراً جعل منه خير ركيزة لاستثمار جهوده وتحقيق أهدافه الإصلاحيّة.

قال عنه الشّيخ عدّون شريفي[2] في مُؤلّفه "معهد الحياة نشأته وتطوّره" : "تواردتْ عليه البعثات مِن ميزاب وأنحاء الجزائر، ومِن جبل نفوسة... إلى أن بلغ عددهم بضعاً وتسعين تلميذاً إبّان الحرب الكبرى (الثّانية) ... فقد أحدث فيه الشّيخ بيّوض دروساً اجتماعيّة ووطنيّة وسياسيّة ... ألهبتْ في الطلبة الحماس الوطني، وكان لها أثر بليغ في ثقافتهم العامّة، وتطوّرهم نفسيّاً، وتربيتهم اجتماعيّاً وسياسيّا، وصيّرتهم رجالاً أكْفَاء برزوا في ميادين الإصلاح العام، فأبلَوْا فيها البلاء الحسن"[3].

---

[1] - وُلِد العلّامة الشّيخ إبراهيم بن عمر بيّوض في 11 ذو الحجة1313هـ/21 أفريل 1899م، بمدينة القرارة، وكان والداه مِن أعيان الإصلاح في البلد، دخل المدرسة القرآنيّة، واستظهر القرآن الكريم قبل سنّ البلوغ، وانضمّ بذلك إلى حلقة حُفّاظ القرآن. أخذ مبادئ الفقه والعربيّة عن مشايخه: الحاج إبراهيم البريكي، وأبو العلا عبد الله والشّيخ الحاج عمر بن يحيى. نال حظوة شيخه الحاج عمر بن يحيى، فلازمه وكان يخدمه، ويحضر جلسات أعيان البلد عنده، فكان ذلك بمثابة المدرسة الاجتماعية والسّياسيّة التي تكوّن فيها. نبغ بذكائه وحافظته وذلاقة لسانه العربي الفصيح مِمّا أهّله لينوب شيخه عند غيابه في تدريس البلاغة والمنطق. وفي سنة 1931م شارك في تأسيس جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين، وساهم في صياغة قانونها الأساسي، وانتُخِب عضواً في إدارتها الأولى، فأُسنِدت إليه نيابة أمين مالها. وفي سنة 1937م أسّس جمعيّة الحياة بالقرارة، رائدة النّهضة العلميّة الإصلاحيّة بالجنوب الجزائري. وكانت له مشارك فعّالة بمقالات ناريّة في الصّحافة الوطنيّة. وكان خلال الثّورة الجزائريّة المباركة على اتّصال وثيق بالمراسلات السّرّيّة بينه وبين جبهة التّحرير الوطني، والحكومة المؤقّتة للجمهوريّة الجزائريّة في المهجر. وكان يؤمِن بأنّ الكفاح لا يُقتصَر على رفع السلاح وحده، وإنّما يتكامل ببناء النّفوس وإعدادها لتَحمُّل المسؤوليّة والرّسالة في المستقبل. ولعلّ أكبر موقف عُرِف به: مُعارضته لمؤامرة فصل الصّحراء عن الشّمال. وفي عُمْر يُناهز 83 سنة، خُتِمَتْ أنفاسه الطّيّبة وحياته الحافلة بالجهاد. وشُيِّع جثمانه في موكب حاشد خاشع، حضره نخبة مِن مسؤولي الدّولة، كما أُبّن بحفل عظيم يوم الجمعة21 جمادي الأولى 1401هـ/27 مارس 1981م.

– انظر: جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 2، مِن حرف الألف إلى الزّاي، مصدر سابق، ص 36–41.

[2] - لم أحصل على تعريفه.

[3] - علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص9.

وفي سنة 1937م غادر تونس مُيَمِّماً وجهه شطر معهد الحياة بالقرارة بوادي ميزاب في الجزائر، وبه حطّ التِّرحال في طلب العِلم، وأقام سبع سنوات تتلْمذ خلالها علَى مشايخ منهم: الشّيخ إبراهيم بيّوض.

آنسَ منه أساتذته الكفاية العلميّة، فأسندوا إليه مهمّة التّدريس بالمعهد، فكان طالباً ومُدرِّساً في آنٍ واحدٍ، مِمّا ساعده علَى التّوسّع في البحث والاستزادة مِن المعرفة[1].

رحل الطّالب عليّ يحيى إلى القرارة ووصلها في شهر أوت مِن سنة 1937م وانتظم في سلك طلبة معهد الحياة، واتّخذ دار البعثة مقرّاً له كسائر الوافدين إلى المعهد مِن خارج مدينة القرارة. وتلقّى أغلب الدّروس عن الشّيخ بيّوض، واستفاد منه خيراً كثيراً بفضل كفاءة الأستاذ وشغف الطّالب ومواهبه الطّيّبة. كما تلقّى دروساً عن أستاذه "الشّيخ عدّون" في النّحو مِن كتاب "شرح ابن عُقيل"[2].

[1] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السّين إلى الغين، مصدر سابق، ص620.

[2] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ز.

– انظر: علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص9.

المبحث الرّابع: نشاطاته ومؤلّفاته

لقد أَثْرَى الشّيخ عليّ يحيى معمّر المكتبة الإسلاميّة بمؤلّفات عديدة، تزيد عن 17 مؤلّفاً عدا التعليقات والرّدود والمقالات والقصائد والأناشيد والفتاوى.

مِمّا يمتاز به الشّيخ عليّ يحيى معمّر في كتاباتِه: المناقشة العلميّة الهادفة، والجدل المقنع اللّذيْن مصدرهما الكفاية العلميّة والأصالة في التّفكير، والاقتناع بالمبادئ التي يعتنقها، والاستجابة لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

كما تمتاز مؤلّفاته باللغة البسيطة والأسلوب الممتع، كما عُرِف عنه التّواضع للعمل، والاحترام للعلماء، والتقدير للآراء المعروضة، لأنّها تمثّل قبل كلّ اعتبار وجهات نظر مجتهدين، قد يُصيبون، وقد يُخطئون.

بهذا الأسلوب استطاع المرحوم أن يعالج كثيرا من قضايا المسلمين[2].

---

[1] – سورة النّحل، الآية:125.

[2] – محمد ناصر بوحجّام: الشيخ عليّ يحيى معمّر والدّعوة إلى وِحدة المسلمين،مصدر سابق، ص11– 13.

المطلب الأوّل: نشاطاته

شارك في أنشطة معهد الحياة المتنوّعة – غير الدّراسيّة– مِن جمعيّات أدبيّة ومسرحيّة ورياضيّة وكشفيّة وفِرَق الطّرب الملتزم (أناشيد دينيّة، ومدائح نبويّة، وأخلاقيّة، وأناشيد في وصف الطّبيعة).

وفي رحاب "جمعيّة الشباب" الأدبيّة برز وظهر نبوغه في مجال المقالة الأدبيّة والخُطب الحماسيّة، وقرض الشّعر في مختلف الأغراض، وفي مجال المحاضرات والمناظرات وتأليف المسرحيّات، وإقامة الحفلات في الأعراس والمناسبات والأعياد الدّينيّة.

ولا يزال المعهد يحتفظ بعددٍ كبيرٍ مِن هذه الأعمال ضمن "جريدة الشّباب"[1] .

كان ينشر مقالاته الدينية والأدبية والاجتماعية والتاريخية بمختلف الجرائد والمجلات منها:

1- مجلّة الشّباب: يُصدِرها طلبة معهد الحياة بالقرارة.

2-مجلّة المسلمون: يُصدِرها المركز الإسلامي بجينيف.

3-مجلّة الأزهر: يُصدِرها مجمّع البحوث الإسلاميّة بالأزهر، القاهرة.

4- الأسبوع السّياسي والمُعلّم: تصدران بطرابلس الغرب، ليبيا.

5- الرّسالة: يُصدِرها أحمد حسن الزّيّات بالقاهرة.

وقد بذل الشّيخ جهوداً معتبرة في تأسيس عدّة مؤسّسات تربويّة، فأثمرت جهوده:

1-مدرسة ابتدائيّة في جادو.

2- مدرسة الفتح بطرابلس، تُديرها جمعيّة الفتح[2].

---

[1] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: س.

– انظر: علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص9.

[2]- جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السين إلى الغين، مصدر سابق، ص620

ولقد تدرّج في أروقة التّعليم مِن مُدرِّس إلى مدير مدرسة، إلى مرجّه تربويّ (مفتّش)، إلى موظّف سام بأمانة التربية والتعليم (الوزارة) وبقي فيها إلى حين وفاته.

أمّا في المجال السّياسي، فيتمثّل في التحاقه أوّل الأمر – بعد رجوعه إلى ليبيا– في الانتساب إلى الحزب الوطني، لكن سرعان ما تخلّى عنه، لمّا تحقّق أنّه لا فائدة تُرجى مِن هذه الأحزاب، فاعتزل السّياسة كلّيّة.

كان الشّيخ عليّ يحيى معمّر ولوعاً بالأدب: شِعره ونثره، قديمه وحديثه. وامتاز بأسلوب رصين، وأدب رفيع، فسبك أشعاراً رقيقة، وحَبَكَ مقالات فائقة. وأبدع مسرحيّات هادفة.

المطلب الثّاني: مؤلّفاته

وقد خلَّف الشّيخ عليّ يحيى معمّر آثاراً علميّة متنوّعة في مجالات عدّة كالعقيدة والفقه والتّاريخ والأدب نثرِه وشعرِه... وألّف كُتباً وبحوثاً ورسائل ومقالات، وله تعاليق على بعض المصنّفات، ومراسلات. فمِن آثاره:

أوّلا: الكتب

1–"الإباضيّة في موكب التّاريخ": في أربع حلقات (مطبوعة)[1].

يُعتبر هذا المؤلَّف مِن أهمّ ما أنتجه قلم الشّيخ عليّ يحي معمّر، فهو موسوعة تاريخيّة ضخمة متكوّنة مِن أربع حلقات:

ـ الحلقة الأولى: نشأة المذهب الإباضي.

حيث تعرّض فيها إلى استعراض المراحل الأولى مِن نشأة المذهب وتحليل بعض المفاهيم المتعامل بها في الوسط العلمي الإسلاميّ كمقياس النّظر إلى الخطأ والصّواب[2].

---

[1] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السين إلى الغين، مصدر سابق، ص621.

– علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ض.

[2] - قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص90.

ـ الحلقة الثّانية: الإباضيّة في ليبيا.

أتتْ في قسمين كلّ قسم عبارة عن كتاب مستقلّ، تعرّض فيها إلى تاريخ الإباضيّة في ليبيا وترجم للكثير من الأعلام في هذه المسيرة التّاريخيّة الطّويلة وعرّف فيها كذلك بالنّاحية الجغرافيّة والطّبيعيّة لجبل نفوسة.

ـ الحلقة الثّالثة: الإباضيّة في تونس.

تتبّع فيها تاريخ الإباضيّة بتونس والتّرجمة لأهمّ أعلامهم.

ـ الحلقة الرّابعة: الإباضيّة في الجزائر.

أتتْ في قسمين مستقلّين، واتّبع نفس الطّريقة حيث استعرض تاريخ الإباضيّة في الجزائر وترجم لأهمّ الأعلام. وما حرص عليه في هذه الموسوعة التّاريخيّة هو إبراز صور مِن كفاح أتباع هذا المذهب في سبيل نشر الفضيلة والخير وتطبيق تعاليم الإسلام في الواقع المعاش على مختلف المستويات مِن رئيس الدّولة أو الإمام إلى أبسط فرد فيه.

وقد طُبِعتْ الحلقة الأولى والثّانية منه سنة 1964م في مطابع دار الكتاب العربي في مصر وقامت بنشره مكتبة وهبة بالقاهرة، وأُعيد طبع الحلقة الأولى في سلطنة عمان.

وطُبِعتْ الحلقة الثّالثة منه سنة 1966م في مطابع دار الثّقافة ببيروت، ونشرته نفس الدّار.

وطُبِعتْ الحلقة الرّابعة منه سنة 1979م في مطبعة الدّعوة الإسلاميّة بالقاهرة، ونشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة. وطُبِعتْ للمرّة الثّانية في الجزائر سنة 1985م في المطبعة العربيّة بغرداية[1].

ولقد قال الشّيخ أبو اليقظان إبراهيم شهادة إثر اطّلاعه عليه بعد صدوره يُحسِن أن نورِد مقتطفاً منها[2]: "تسلّمتُ شطراً مِن كتابك (الإباضيّة في موكب التّاريخ) فتصفّحتُ مقدّمته، وشطراً منه فوجدتُه كتاباً بديعاً في فنّه، وديعاً في أسلوبه، ينساب

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص90-91.

[2] - محمد ناصر بوحجّام: الشيخ عليّ يحيى معمّر والدّعوة إلى وِحدة المسلمين، مصدر سابق، ص11-13.

كالماء في الأغصان وقت الربيع، وكالنّسيم فيه، يأخذ مِن يانع الزّهر، ولا يكاد يشعر به الإنسان، إلاّ وقد بلغ الغايتين تجاويف القلوب، ولفائف النفوس، توخّيت في أسلوبه الوداعة والبساطة، لا حِدّة ولا عنصريّة، ولا إجحاف بحق الأمّة في تاريخ أسلافها، هكذا ذهبت كالسّهم رأساً إلى اللب، فاقتنصته بلباقة، وطعمت به في لفائفه، وأغشيته كالطبيب، حتى ركزته في بؤرة مرض من المريض بدون أن يشعر بمرارة الدواء، حتى يجد راحة الشفاء، هكذا فليكن الدعاة، أسلوب متواضع رصين، يأخذ طريقه إلى القلوب بدون استئذان، فبارك الله لك في قلمك السيّال، وفكرك المنتج، وضميرك اليقظ"[1].

2- "الإباضية بين الفِرَق الإسلاميّة عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث".

هو مؤلّف في تاريخ الفِرَق الإسلاميّة وآرائهم، حيث ناقش فيه مَن يُعرف بكتّاب المقالات فيما كتبوه عن الإباضيّة في تاريخهم وآرائهم وبيّن أخطاءهم فيه ووضّح آراء الإباضيّة مِن مصادرها. كما دعا مِن خلال هذا الكتاب إلى أفكار كثيرة في محاولة الجمع بين أطراف الأمّة الإسلاميّة والتّقريب في وُجهات النّظر بينها، ونبذ العصبيّات والأحقاد تجاه بعضها البعض.

ويصف الشّيخُ أحمد الخليلي الشيخَ علي يحيى معمّر في كتابِه قائلاً: "وفي كتابِه(الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة) تخطّى مُشكلات الرّد – حيث أنّ من العادة يأتي الرّد حماسيّا إلاّ أنّه يغفل كثيراً عن أخلاقيّات الكتابة والخطاب – إلاّ أنّ الشّيخ رحمه الله تعالى ابتدع أسلوباً أخلاقيّاً لم يسبق إليه في الكتابة بهذا التوسّع والكميّة... فهو قد بلور مواقفهم العمليّة في مسلك كتابي نتمنّى مِن المسلمين كافةً أن يسلكوه سواء في الانتصار لمبادئهم أو في الرّد على غيرهم، وأن يطبق المسلمون كلهم فيما بينهم قاعدة: "الحقّ أحقّ أن يُتّبع".

وقد طُبِع الكتاب سنة 1976م في مطابع سجلّ العرب بمصر، وقامتْ بنشره مكتبة وهبة بالقاهرة[2].

---

[1] – محمد ناصر بوحجّام: الشيخ عليّ يحيى معمّر والدّعوة إلى وِحدة المسلمين، مصدر سابق، ص11-13.

[2] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص92.

وطُبع للمرّة الثّانية في الجزائر سنة 1987م في المطبعة العربيّة بغرداية.وقد طُبِع عدّة مرّات في سلطنة عمان[1].

3- "سمر أسرة مُسلمة" :

يُعتبر هذا الكتاب المرجع الأوّل للإطلالة على فِكرِه العقدي، حيث قَدَّم فيه مسائل العقيدة بأسلوب تربوي مُبسّط، غرضه مِن ذلك – كما أشار هو بِنفسِه – تذليل صعوبة قراءة وفهم كُتب أصول الدّين وعِلم الكلام للنّاشئة مِن شباب الأمّة الإسلاميّة .

وهو كتاب اتّبع فيه طريقة الحوار بين الوالدين وابنهما الذي سمّاه نجيب. وقسّمه إلى اثنتي عشر ليلة، وهو أسمار عائلية في كلّ سمر يتناول بالدّراسة والتّحليل والشّرح عدّة مواضيع عقدية وأخلاقيّة وتربوية[2].

وطُبِع عدّة مرّات، آخرها نشر جمعيّة التّراث، بتحقيق: محمّد بابا عمّي[3].

4 - "الميثاق الغليظ":

يقترب هذا الكتاب في مضمونه مِن كتاب الفتاة الليبية ومشاكل الحياة ,لكن كلام الشيخ اقتصر في هذا المؤلَّف على مناقشة قضايا الزواج و عرضها على أحكام الإسلام , مثل:أسس اختيار الزوج, الصداق والمهر,تجهيز البيت.

طُبِع هذا الكتاب سنة 1972م مِن منشورات جيل ورسالة, بنغازي، ليبيا[4].

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص92.

[2] – المصدر نفسه، ص92-93.

[3] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السين إلى الغين، مصدر سابق، ص621.

[4] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص94.

5- "الفتاة اللّيبيّة ومشاكل الحياة" (مطبوع):

في هذا الكتاب ناقش الشيخ وحلل جملةً من القضايا المثارة حول المرأة المسلمة وبعض المشاكل التي تعترضها بسبب التمدّن والتحضّر الذي يشهده العالم الإسلامي، كمسألة المرأة والتعليم، الدراسة والزواج، الحجاب والسفور،المرأة والعمل.

وفي حقيقة الأمر إنّ ما تناوله الشّيخ بالدراسة في هذا الكتاب لا يقتصر على الفتاة اللّيبيّة فقط، بل هو قدر مشترك بين الفتيات المسلمات حيثما وُجِدْنَ[1].

لهذا فقد أُعيد طبعه في الجزائر تحت عنوان: الفتاة المسلمة ومشاكل الحياة مع ملاحق حول كفاح المرأة المسلمة، بتحقيق أحمد كرّوم[2].

وطُبِع سنة 1970م، في دار الفتح للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، والطبعة الثّانية في الجزائر سنة 1997م، دون ذكر المطبعة.

6- الأقانيم الثّلاثة أو آلهة مِن الحلوى" (مطبوع):

هو كتاب نستطيع أن نصفه في التّربية وفي السّياسة وفي الاجتماع، حيث تناول فيه الشّيخ تحليل نظر المجتمع إلى الطّفل وإلى المرأة وإلى الحاكم وبيّنَ العلاقات الاجتماعيّة بين هذه الأقطاب الثلاثة والرّجل. وقد تناوله بأسلوب أدبيّ رفيع مع نوعٍ مِن السّخرية أحياناً. وطُبِع هذا الكتاب سنة 1973م بدار الفتح ببيروت، لبنان[3].

7 – "الإسلام والقيم الإنسانيّة".

8 – "فلسطين بين المهاجرين والأنصار"[4].

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص93..

[2] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ض.

– انظر: علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص11.

[3] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص93.

[4] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ض.

– انظر: علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص11.

ثانياً: الرّسائل

1-" أجوبة وفتاوى في مسائل فقهيّة" (مطبوع):

قدّمه لدار الدّعوة بنالوت ونشرتْه في عدد مستقلّ في رسالة المسجد في عددها الرّابع، سنة 1970م[1].

2- "صلاة الجمعة" (مطبوع)

تناول فيها مسألة وُجوب صلاة الجمعة أو عدم وُجوبها وشُروط كلّ ذاك.

وطُبِعتْ الرسالة أكثر مِن مرّة, منها طبعة وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بعمان سنة 1410هـ/1980م.

3- "أحكام السّفر في الإسلام" (مطبوع):

درس الموضوع دراسة فقهيّة، وقد طبع الرّسالة في كُتيّب سنة 1964م، في دار الثّقافة ببيروت[2].

4- "مسلم لكنّه يُحلّق ويُدخّن" (مطبوع):

وهو يعالج آفة التّدخين, وممّا يبدو أنّه الحلقة الأولى مِن الجزء الثاني من كتابه "سمر أسرة مسلمة"وهو يُعَدّ مفقوداً.

وقد قدّمه لدار الدّعوة بنالوت حيث نشرَتْه في رسالة المسجد في عددها السابع سنة 1973م مع بحث للشيخ بيوض. وقد أعيد طبعه وتحقيقه في الجزائر سنة1990م في كتيب مستقل بعنوان:

"مسلم و لكّنه يدخّن" طبعَتْه مطبعة تيهرت بغرداية ونَشَرته جمعية عمي سعيد[3].

5- "الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر" (مخطوط).

6- "الحقوق في الأموال" (مخطوط)[4].

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص94.

[2] – المصدر نفسه، ص95.

[3] – المصدر نفسه، ص94.

[4] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السين إلى الغين، مصدر سابق، ص622.

– انظر: – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص11.

7- رسالة بعنوان: "**حلاوة النّظم والعبارة فيما مدح به شيخنا في مدينة القرارة**":

هي رسالة صغيرة خلد بها الشّيخ معمّر رحلة قام بها عالم مِن المغرب الأقصى اسمه عبد القادر بن محمّد السّودي إلى القرارة فالتقى مع الشّيخ بيّوض وألقى دروساً على طلبة معهد الحياة. وفي هذه الرّسالة قصيدة في مدح هذا الشّيخ وذكر بعض ما احتوت عليه مكتبته مِن كتب ومخطوطات نفيسة.

وقد طُبِع على شكل كُتيّب صغير، وهو خال مِن أيّ معلومات عن طبعه ونشره، وأُشيرَ في نصّ الرسالة أنّه كُتِب في : منتصف شوّال عام ستّين وثلاثمائة وألف، أي حوالي سنة 1940م[1].

ثالثا: البحوث

1- مناقشة **للشّيخ خليل المزوغي** (مخطوط).

2- بحث قيّم حول **أجوبة أبي يعقوب يوسف بن خلفون**.

3- بحث بعنوان: "**الإباضيّة مذهب مِن المذاهب الإسلاميّة المعتدلة**"[2]:

قدّمه إلى موسوعة الحضارة العربية, ويبدو أنه نفس البحث الذي طبع في كُتيّب مستقلّ في سلطنة عمان بعنوان: "أضواء على الإباضيّة" ، ثمّ طُبِع في الجزائر بعنوان: "الإباضيّة دراسة مركّزة في أصولهم وتاريخهم" ، لكن مع الزّيادة في التّوسعة فيه. وذلك سنة 1985م، في المطبعة العربيّة بغرداية.

وطُبِع وحُقِّق للمرّة الثّانية في عمان بعنوان: "الإباضيّة مذهب إسلامي معتدل" ، وطُبِع للمرّة الثّالثة سنة 1994م، في المطبعة العربيّة تحت نفس العنوان. كما تُرجِم مؤخّراً إلى الإنجليزيّة[3].

4- بحث حول **الإباضيّة** قدّمه إلى موسوعة الحضارة العربيّة[4].

---

[1] - قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص96.

[2] - علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص11.

[3] - قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص94-95.

[4] - جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السين إلى الغين، مصدر سابق، ص622.

5- مناقشة لمذكّرة بعنوان: "**في بيوت الله مع القرآن والدّعاء**"[1].

في هذا البحث ناقش الشّيخ عليّ يحيى معمّر أحد مشايخ زوارة بليبيا في آراء فقهيّة حول قراءة القرآن في المساجد والدّعاء فيها. في مذكّرته في بيوت الله مع القرآن والدّعاء.

والبحث مرقون بالآلة الكاتبة، ومؤرّخ في: 30 رجب 1397هـ/16 يوليو 1977م، وتوجد نسخة منه في مكتبة الباحث بغرداية حسب ما يُثبِتُه الشّيخ قاسم بن أحمد[2].

رابعاً: المقالات

مقالات الشّيخ علي يحيى معمّر كثيرة وهي مبثوثة في أكثر مِن مكان وفي أكثر مِن جريدة، أو مجلّة، لهذا يصعب علينا حصرها ومعرفة أماكنها كلّها، ونقتصر هما على ذكر عناوين المقالات والدّوريات التّي نُشِرت فيها فقط.

1- جريدة الشّباب الصّادرة في معهد الحياة بالجزائر[3]:

- المخاطرة النّادرة (1).
- المخاطرة النّادرة (2).
- أسمع جعجعة ولا أرى طحيناً.
- أسمع جعجعة ولا أرى طحيناً (الحلقة الثّانية).
- الشّباب.
- الحبّ هبة مِن الله.
- الشّيخ الرّافعي ينتقل مِن القاهرة إلى القرارة (1).
- الشّيخ الرّافعي ينتقل مِن القاهرة إلى القرارة (2).
- جواب عن سؤال.
- النّقد النّزيه.

---

[1] - علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ض.

- انظر: علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص11.

[2] - قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص95.

[3] - المصدر نفسه، ص97.

- خالد شهيد الحب والغيرة (1).
- خالد شهيد الحب والغيرة (2).
- ليلى وقيس (1).
- ليلى وقيس (2)[1].

2- نشرة التّوثيق والبحوث التّربويّة الصّادرة بليبيا:

ـ الحزم في التّربية

3- جريدة الأسبوع السّياسي الصّادرة في ليبيا:

ـ الحسبة في الإسلام واللّجان الثّوريّة

4- مجلّة المسلمون الصّادرة في جنيف بسويسرا:

ـ جواباً على جواب.

أمّا هذه المقالات فلم يُعلم الدّوريات التي نُشِرت فيها:

- الطّفل في القرآن الكريم.
- رد على الأستاذ خليل المصري.
- حاكم مصر والحكم الذّاتي.
- الاستسلام ليس مِن خلق الإسلام[2].
- الحسبة في الإسلام واللجان الثّوريّة.
- الحبّ هبة مِن الله.
- الشّباب.
- أسمع جعجعة ولا أرى طحيناً (حلقتين).
- المخاطرة النّادرة[3].

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص97.

[2] – المصدر نفسه، ص98.

[3] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، دون دار، ط1، 1424هـ/2003م، ص48.

أمّا مقالاته غير المنشورة:

- فتاوى لأسئلة واردة مِن أشخاص.
- المؤتمرات الإسلاميّة صورة مِن صُور الإجماع.
- مَن هو صاحب السّلطة في الإسلام
- اللّحوم المحرّمة.
- حكومات بدون شعب.
- لمحة تاريخيّة عن الإباضيّة.
- الشّعب المسلّح.
- هل ظل العلماء بين المسجد والمؤتمر[1].

خامساً: التّعاليق

1-"**تعليق على كتاب الصّوم**" لأبي زكريّا الجناوي، (مطبوع).

2- "**تعليق على كتاب النّكاح**"، لأبي زكريّا الجناوي، (مطبوع).

3- "**مقدّمة لكتاب سير مشايخ نفوسة**"، الذي حقّقه تلميذه الدكتور عمرو خليفة النّامي.

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص102.

– فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص48.

سادسا: المسرحيّات

1- مسرحيّة "**ذي قار**" السّياسيّة.

2- مسرحيّة "**محسن**"[1].

سابعاً: القصائد

ما يُعلَم عن الشّيخ علي يحيى معمّر أنّ له موهبة شعريّة قويّة، وقد لُقِّبّ أيّام كان في معهد الحياة بشاعر الشّباب، لغزارة إنتاجه في هذا المجال، وقد واصل في كتابة الشّعر بعد رحيله مِن الجزائر، حيث جُمِع شعره في ديوانين لكن لم يصلنا منهما شيء، إذ يذكر رفيقه وتلميذه الشّيخ ناصر مرموري أنّه أحرقهما بسبب المتابعة السّياسيّة التي كانت تلاحقه دائماً. وجلّ ما تبقّى مِن شِعْرِه هو ما حَفِظَتْه لنا مجلّة الشّباب في معهد الحياة وهذا جزء مِن عناوين هذه القصائد[2]:

- تحيّة الإصلاح.
- وتخشى عليه شعاع القمر.
- ذكرى جيطال.
- الموت غاية كلّ حي.
- كلبي وقطّتي ودجاجتي.
- عصفورة.
- أنا والحب دنا في جنّة.
- إنّما الحسناء تأتي ما تشاء.
- تحيّة الإصلاح
- المعراج[3].

---

[1] - جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السين إلى الغين، مصدر سابق، ص623.

[2] - قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص99.

[3] - فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص49.

- قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص99.

المبحث الخامس: وفاته

تُوُفِّي الشّيخ علي يحيى معمّر وهو بمكتبه بوزارة التّربية صبيحة يوم الثّلاثاء السّابع والعشرين مِن شهر صفر مِن عام 1400هـ ، الموافق لتاريخ 15 يناير سنة 1980م، ودُفِن بِمقبرة "سيدي مُنذِر" بطرابلس يوم الإربعاء 28 صفر / 16 يناير بعد صلاة العصر.

وقد شَيَّع جثمانه الطّاهر جمعٌ كبيرٌ مِن رفاقه وإطارات سامية في الدّولة اعترافاً بِعِلمه وجهاده الطّويل. رحمه الله، وأكرم نزله ومثواه، ووهبه رضاه، إنّه سميع قريب مجيب، آمين.[1]

وقد رثاه شعراء عديدون، وسجّل مآثره خطباء بارزون[2] .

هذه هي آثار الشّيخ علي يحيى معمّر، وهذه صورة عن حياته واجتهاده.

فماذا عن جهوده الدّعويّة ومنهجه في الدّعوة إلى الإباضيّة؟ وهذا ما سنقف عليه في الفصل الثالث مِن هذا البحث بإذن الله.

---

[1] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص: ط.

– انظر: علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص11.

[2] – جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، جزء: 3، مِن حرف السين إلى الغين، مصدر سابق، ص623.

الفصل الثّاني: التّعريف بالإباضيّة

المبحث الأوّل: نشأة الإباضيّة

المبحث الثّاني: نسبة الإباضيّة وتأسيسها

المبحث الثّالث: أهمّ الآراء العقديّة عند الإباضيّة

المبحث الرّابع: أماكن تواجد الإباضيّة

المبحث الأوّل: نشأة الإباضيّة

ظهر المذهب الإباضي في القرن الأوّل الهجري في البصرة. فهو مِن أقدم المذاهب الإسلاميّة على الإطلاق[1]. والتّسمية كما هو مشهور عند المذهب، جاءت مِن طرف الأمويّين ونسبوه إلى عبد الله ابن إباض وهو تابعيّ عاصرَ معاوية وتوفّي أواخر أيّام عبد الملك بن مروان، وعلّة التّسمية تعود إلى المواقف الكلاميّة والجدليّة والسّياسيّة التي اشتهر بها عبد الله بن إباض في تلك الفترة[2].

إنّه مِن المعروف أنّ هذا المذهب مِن المذاهب الإسلاميّة الهامّة التّي سبقتْ النّشأة غيرها مِن المذاهب الأخرى سنّية أو شيعيّة، كما أنّه لم يُعرف بهذا الاسم في المصادر الإباضيّة إلاّ في الرّبع الأخير مِن القرن الثّالث للهجرة، وقد قَبِلَ الإباضيّة بهذا الاسم منذ ذلك التّاريخ لأنّه غلب عليهم بمرور الزّمن، وصار علماً يلتفّون حوله ولم يجدوا فيه ما يحطُّ مِن قُدْرَتهم أو ينال مِن كرامتهم، وإنّما كانوا يُطلقون على أنفسهم قبْل ذلك اسم جماعة المسلمين أو أهل الدّعوة أو أهل الاستقامة وقد سمّاهم أعداؤهم مِن الخوارج المتطرّفين باسم القَعَدة[3] احتقاراً لهم.

---

[1] – أبو الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضيّة، مكتبة الاستقامة، عمان، مسقط، ط2، د ت، ص19.

[2] – بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1402هـ/1982م، ص20.

– عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص33.

[3] – القَعَدَة: اسم أطلقه الخوارج على الإباضيّة لأنهم في تصوُّرهم قعدوا عن الجهاد ضدَّ الحُكّام الامويّين.

– محمّد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، تقديم: الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دار ناصر للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط5، 1434هـ/2013م، ص33.

ـ ويُعرِّفهم الأشعري بقوله: القَعدة: جمع قاعدة وهم قوم يرون تزيين التحكيم وفيها قال أبو نواس :

فكأنّي وما أزيّن منهـــــــا قعديّ يزيّن التحكيمـــــا

والقَعَد محركة جمع قاعد وفي الأساس للزمخشري : القعدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة علي ـ كرم الله وجهه ـ ومقاتلته وهم يرون التحكيم حقّا .

– انظر: أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري،: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصريّة، ط1، 1426هـ / 2005م ، ج1، ص84.

لأنّهم طبقاً لوجهة نظر هؤلاء الخوارج قعَدوا عن الجهاد في سبيل الله بمحاربة الولاّة والحكّام الظّالمين[1].

يقول محمّد عليّ دبّوز: "إنّ الإباضيّة قد نشأوا بمُبايعتهم لعبد الله بن وهب الرّاسبي ليقضُوا علَى المَلَكيّة ويحافظوا على الجمهورية، وباستقلالهم عن الملوك ومُبايعتهم للأئمّة، ومعارضتهم للمَلَكيّة الأمويّة ودعوتهم إلى الجمهوريّة الإسلاميّة، والتزام سيرة أبي بكر وعمر ﷺ في العدل والدّيمقراطية والمساواة، والتمسّك بالدّين في كلّ الأمور. وكانت هذه النّشأة في شوّال سنة 37هـ بعد خلع الحَكَمين للإمام عليّ ﷺ في رمضان مِن تلك السّنة[2].

وإذا عدنا إلى ظهور الإباضيّة وتحديد تاريخ نشأتها فإنّنا نجد المستشرق تادوز لويسكي يذكر في دائرة المعارف، اعتماداً علَى المؤرخين المعاصرين: إنَّ ظهور الإباضيّة كان سنة 65هـ/684م عندما انفصل عبد الله بن إباض[3] عن المتطرّفين الخوارج بمناسبة الموقف الذي يَجب اتخاذه تجاه أهل التوحيد الآخرين", لكنّه يستبعد هذا التّحديد ليؤكّد أنّ جُذور الإباضيّة أقدم مِن ذلك, فهو يُلحق تاريخ نشأتها بظهور جماعة القَعَدة[4].

وبعد وفاة أبي بلال انتقلت زعامة الفِرقة إلى عبد الله بن إباض الذي انفصل عن الخوارج سنة 65هـ ومكث بالبصرة مع أصحابه بعد خروج المتطرّفين منها.

ويَذكر هذه الحادثة عبد الله بن إباض نفسه. وهكذا بدأت الفترة الأولى مِن الإباضيّة التي يُمكن تسميتها بمرحلة الكتمان فيكون إذن مكوث عبد الله بن إباض بالبصرة ومَن معه مؤشّراً حقيقياً لتَبلْوُر الآراء الإباضيّة وتميّزها عنْ غيرها مِن

---

[1] – بكير بن سعيد أعوشت: الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديماً وحديثاً، المطبعة العربية، نهج طالب أحمد، غرداية، د ط، 1415هـ/1995م، ص35 – 36.

[2] – محمّد عليّ دبّوز: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبي وشركائه، ط1، 1382هـ/1963م، ج2، ص398.

[3] – سيأتي تعريفه فيما بعد في مطلب التأسيس والنّسبة.

[4] – عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش (1236–1332هـ/1818–1914م)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط2 ، 1411هـ/1991م، ص30.

المتطرفين الخوارج, ومِن ثَمَّ يمكن اعتبار هذه الحادثة مِن الناحية التاريخية سبباً مباشراً لظهور فِرقة الإباضيّة.

إلاّ أنّه ينبغي الإشارة إلى أنّ التّأسيس الحقيقي للفرقة كان على يد الإمام جابر بن زيد الأزدي العُماني الذي انضمّ إلى جماعة أبي بلال مرداس بن أديّة التّميمي بعد مجيئه إلى البصرة. فكان لانضمام جابر إلى هذه الجماعة أثرٌ بالغٌ في نشأة الإباضيّة وتحديد معالم أفكارها وآرائها, ولعلّ أهمّ شيء يجعل الإمام جابر يميل نحو جماعة أبي بلال موقف هؤلاء مِن الأوضاع السائدة آنذاك, حيث يرَوْن أنّ القتال بين أتباع العقيدة الإسلاميّة أمرٌ لا يقبله العقل ولا الدّين[1].

سُمّيتْ الإباضيّة بهذا الاسم نسبةً إلى عبد الله بن إباض الذي تعتبره المصادر غير الإباضيّة مؤسّس المذهب الإباضي. أمّا العلماء الإباضيّون فينسبون إلى عبد الله بن إباض دوراً ثانوياً بالمقارنة مع جابر بن زيد الأزدي العُماني الذّي يُعتَبر إمام أهل الدّعوة ومؤسّس فقههم ومذهبهم. ويُجمعُ المؤرّخون والمفكّرون الإباضيّون على أنّ عبد الله بن إباض كان يَصدُر في كلّ أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد[2].

ويؤكّدُ مؤرّخوا الإباضيّة أنّ المنعرج التّاريخي المهم الذي يؤرّخون به للتحوُّل الجذري في الفكر الإباضي وفي مسيرتهم التّاريخية هو ما يُعرَف باجتماع الصّومَعة وهو اجتماع انعقد في صومعة جامع البصرة في ليلة من ليالي سنة 64هـ، حيثُ اجتمع رؤوسُ الخوارج أمثال نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر الحنفي، وعبد الله ابن الصفّار، وكان معهم في هذا الاجتماع عبد الله بن إباض وكان الهدف من هذا الاجتماع الخروج على أهل البصرة ومقاتلتهم، فلمّا جنّ الليلُ سمع عبد الله بن إباض مع جَمْع مِن أتباعه دَويَّ القُرّاء، وترنين المؤذّنين، وحنينَ المسبّحين، وأصواتَ الذّاكرين.

---

[1] – عدون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص32.

[2] – عوض محمد خليفات: الأصول التّاريخية للفِرْقة الإباضيّة، مؤسّسة الشيخ النّاصر للكتاب، غرداية، الجزائر، د ط، 1437هـ/2015م ، ص9.

فقال لأصحابه: "أعَلَى هؤلاء أخرج وهؤلاء أقاتل" ففارقَ رؤوس الخوارج منذ تلك الحادثة[1].

وقد تمكّنَتْ الإباضيّة في فترات مِن تاريخها مِن إنشاء دولة لهم في بعض البلاد، كما أنشأَتْ دولةً في سلطنة عُمان مازالت إلى الآن، وتَنْتَشر الإباضيّةُ اليوم في سلطنة عُمان والجزائر وليبيا وجزيرة جربة بتونس[2].

والمذهبُ الإباضي ليس مذهباً سرّياً، وليست أصوله التي يَنْبَني عليها خافيةً أو مجهولة، وليس أتباعه ممّن يستَتِرُون أو يختفون، فهم لا يُقيمُون لغير الله وزناً في هذا الوجود، ولا ينتظرون عن أعمالهم جزاءاً مِن غير الله، ولا يتّبعون في تصرّفاتهم غيرَ الحقّ، فالمذهب الإباضي يستمدُّ قوّتَه مِن الإسلام الذي اختاره الخالقُ ليكون دينَ البشريّة جمعاء كما جاء به محمّد ﷺ، لم ينحرف به صراط الله السويّ غلوّاً ولا تفريط[3].

---

[1] – فرحات بن علي الجعبيري: شخصيات إباضيّة، ص12.

(نقلا عن علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفِرق الإسلاميّة، الرّؤى والمرجعيّات، مطبعة تونس، قرطاج، تونس، ط1، 1436هـ/2015م، ص159).

[2] – علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص160.

[3] – علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، مصدر سابق، ص15.

المبحث الثّاني: نسبة الإباضيّة وتأسيسها

المطلب الأوّل: عبد الله بن إباض الزّعيم السّياسي

إنّ أغلب مصادر المقالات ومدوّنات الملل والنّحل إباضيّة سواء كانت في معالجتها أشعريّة أو اعتزاليّة أو سنّية سلفيّة تكاد تُجمع على أنّ نسبة التّسمية"إباضي وإباضيّة"إلى: عبد الله بن أباض بن ثعلبة التّميمي من بني مرّة بن عبيد بن رهط الأحنف بن قيس كان في زمان معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان[1].

والمؤرخ الإباضي المعاصر (علي يحي معمّر) بعد أنْ يضع عبد الله بن إباض في قائمة التّابعين يقول: "عبد الله بن إباض الذي تَنتَسبُ إليه الإباضيّة تُوفّيَ في أواخر أيّام عبد الملك ونُسبَ إليه المذهب لأنّه كان أكثر ظهوراً في الميدان السّياسي عند الدّولة الأمويّة والتّسمية منها"[2]، ويقول: "لم يزعُم أحدٌ مِن الإباضيّة أنّ عبد الله بن إباض، رجع إلى قول الثّعالبة، ولا يوجد أحدٌ مِن الإباضيّة يَبرَأ مِنه فهم مُجْمعون علَى وِلايته, ويَعتبرونه مِن أئمّة المسلمين ومِن كِبار التّابعين"[3].

وهو عبد الله بن إباض بن تيم اللاّت بن ثعلبة التميمي مِن بني مرة وهي قبيلة عربيّة عراقيّة أصيلة انحدرت مِن الجزيرة العربية. مِن قبيلة تميم التّي كان لها دور

---

[1] – سالم بن حميد الحارثي: العقود الفضّية في أصول الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، د ط، د ت، ص121.

– انظر: عبد القادر البحراوي: عقيدة الإباضيّة في ميزان أهل السنّة، مكتبة النور، ط1، 1408هـ، ص9.

– انظر: أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (ت810م): دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضيّة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وأحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص6.

– انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، 1980م، ج4، ص61.

– انظر: أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 2006م، ص260.

– انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1965م، ج 4، ص167.

– انظر: عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، د ط، 1978م، ص75.

[2] – علي يحيى معمر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص 72.

[3] – المصدر نفسه، ص59.

هام في الأحداث السّياسيّة في صدر الدّولة الأمويّة، وُلدَ في زمن معاوية بن أبي سفيان (40– 60هـ). أمّا وفاته فقد كانت في أواخر أيّام عبد الملك ابن مروان المتوفّي سنة 86هـ[1].

نشأ في مدينة البصرة، وعاصر فتنة افتراق المسلمين بعد صفّين، كانت له مواقف حاسمة مِن تلك الأحداث، فقد شبَّ في زمان معاوية، وأدرك عبد الملك بن مروان، يعدُّ مِن التّابعين، أدرك كثيراً مِن الصّحابة[2].

إنَّ الغالبيّة العظمى مِن المصادر غير الإباضيّة تعتبر أنَّ عبد الله بن إباض هو مؤسّس المذهب الإباضي، وذلك على العكس مِن المصادر الإباضيّة التي تعتبر جابر بن زيد (ت93هـ/711م)، هو المؤسّس الحقيقي لتلك الفِرقة، وأنَّ عبد الله بن إباض لعب دوراً ثانويّاً في تأسيس الحركة الإباضيّة[3]، وهم على حقّ في ذلك. وفي تأكيد إمامة جابر وأنَّه هو صاحب ومؤسّس الفكر الإباضي, فحقيقة الأمر أنَّ عبد الله بن إباض بالرّغم مِن أنَّه كان شجاعاً مقداماً، وشارك في الدّفاع عن مكّة مع ابن الزبير ضدَّ الأمويّين؛ وقال عنه الشماخي: "كان إمام أهل التحقيق، والعُمدة عند شغب أولي التفريق"[4].

---

[1] – بكير بن سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، د ط، د ت، ص، ص12.

[2] – مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج3، من حرف السين إلى حرف الغين، ص551.

[3] – نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة الاستقامة، مسقط، عمان، ط3، 1418هـ/1998م، ص14.

[4] – مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج3، من حرف السين إلى حرف الغين، ص551–552.

والمعتقد أنَّ ابن إباض دعا علناً إلى آراء مذهبه مع أنَّ نشاطات المذهب الإباضي كانت آنذاك تُنفَّذُ سراًّ, لأنَّه كان يتمتَّع بحماية قبيلته[1]. وقد برز بشخصيّة قائدة تُعارض موقف نافع وسواه مِن القادة الخوارج ودعا إلى مقاومتهم علناً[2].

أمَّا المؤرّخ الإباضي المعاصر محمد علي دبَّوز, فيرى أنَّ الأمويّين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم، نسبة إلى عبد الله بن إباض، كما أنَّ الأمويّين لا يريدون نسبة هذه الفِرقة إلى جابر حتى لا يجذبوا إليهم الأنظار وذلك بسبب مكانة جابر الفقهية الرّفيعة وعلمه الواسع ومنزلته بين فقهاء البصرة[3]، ولا يَبدون في هالة جابر المشرّفة فتميل إليهم النفوس[4]، فنسبوهم إلى عبد الله بن إباض نسبةً غير قياسيّة[5]، وهو أقلّ منزلةً مِن جابر في العلم وإن كان لا يَقلُّ عنه في التَّقوى والورع والصَّلاح[6]. والصَّلاح[6]. وهو أمر يجب أنْ يوضع موضع الاعتبار عند النّظر إلى سياسة الدّولة الأمويّة التي اعتمدت في كثير مِن تصريفاتها للأمور السياسيّة على الحيَل والدّهاء, والمكر السّياسي الذي لا يضع أبطالاً مِن المعارضين لحكم الدّولة الأمويّة[7].

وهناك احتمال لابدَّ مِن أخذه في عين الاعتبار، وهو المكانة العزيزة لجابر بن زيد وتأثيره الشّخصي في الرّأي العام, والخوف عليه مِن بطش الأعداء, إنْ هو ظهر أمام دولة ليست سهلة في مجابهة معارضيها كالدّولة الأمويّة.

ولذا كان حِرص الإباضيّة علَى إخفاء دور جابر بن زيد في الفِرقة وقيادته لها، ولذا فإنَّ استمرار الإباضيّة في قبول تسمية الأمويّين لهم نسبةً لعبد الله بن إباض

---

[1] – عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضيّة، مصدر سابق، ص45.

[2] – أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ): العقد الفريد دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط3، 1407هـ/1987م،ج1، ص261.

[3] – نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص15.

[4] – عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص12.

[5] – مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج3، من حرف السين إلى حرف الغين، ص551.

[6] – عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993م، ص120.

[7] – نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص15.

كان له أسبابه ودواعيه الأمنيّة مِن الجانب الإباضي غير أنَّ هناك حقيقة لا ينبغي إغفالها, وهي حقيقة ترتبط بشخصيّة عبد الله بن إباض وقدرته على المجادلة والمناظرة ووضوح حجّته في عرضها أمام مخالفيه[1].

في هذا المنعطف التاريخي الخطير برز عبد الله بن إباض قائداً محنَّكاً رافضاً شعار الحرب والقتال الذي تبنَّاه نافع بن الأزرق, ومَن معه مِن أنصار عُرفوا بعد ذلك بالأزارقة, وراح ابن إباض يجادلهم ويحاججهم ويعلن البراءة منهم. وصار هذا الموقف الذي اتخذه عبد الله بن إباض هو الموقف الواضح في السّياسة الشّرعيّة عند الإباضية[2].

أمَّا عن نشاط ابن إباض بعد مُرَاسلاته مع عبد الملك بن مروان فلا تَذكر المصادر معلومات موثوقة يمكن الاطمئنان إليها, ويبدو أنَّه لاقَى حتفه بعد ذلك في وقت لا تُحدّده المصادر المتوافرة وإنْ كان مِن المؤكّد أنَّه تُوفّي قبل عام 100هـ[3].

المطلب الثّاني: جابر بن زيد الأزدي العالِم المؤسِّس

بعد اختفاء ابن إباض أقْلَع الإباضيّة عن المناقشة العلنيّة والجدل الكلامي مع مُناوئيهم ومُخالفيهم ولجؤوا إلى السّريّة المطلقة في تنظيم دعوتهم وكان لجابر دورٌ تنظيمي كبير في هذه المرحلة التي تُعرَف في التّاريخ الإباضي بطور الكتمان[4].

مِن هُنا يُعَدُّ الإمام جابر بن زيد المؤسّس الحقيقي للمذهب الإباضي، فهو الذي أَرْسَى أُسُسَهُ العقديّة ودَوَّن فِقهَه، ونظَّم حركَته. وتلامِذَته هُمْ الذين واصلوا المَسِير مِن بَعدِه، ونشروا المذهب في كل أصقاع المعمورة[5]. فمن هو جابر بن زيد؟

هو جابر بن زيد اليحمدي الأزدي الجوفي العماني البصري (و: 18هـ/639م– ت: 93هـ/711م)، في حين نجد اختلاف في سنَة ميلاده عند بعض المصادر ما بين

---

[1] – – نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص16.

[2] – محمّد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص38.

[3] – عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص14.

[4] – عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، د ط، 1978م، ص14.

[5] – محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص106.

18و22هـ[1]، وُلِد بقريةِ "فرق" ولاية "نزوى" بعُمان، وقد عُرف بالجوفي نسبةً إلى درب الجوف في البصرة حيث استقرَّ مع أسرته فيما بعد[2]. ونشأ في أحضان عائلة عِلْم ورِوَاية، وكان أبوه ـ الذي رَوَى عنه جابر رواية في أحكام الجصّاص ـ عالماً، ولعلَّه كان صحابيّاً[3].

ولمَّا بلغ أشدَّه واستوى قصَد البصرة، وهي يومها مِن بين عَوَاصم البلاد الإسلاميّة في العِلْم والأدب والسّياسة، واتَّخذها دار مقام، ومدرسة عِلْم. وكان يتَنَقّل بينها وبين الحِجاز، لِاستِزادة معرفة، أو لِتحقيق مسألة، أو لِملاقاة شيخ[4].

وكان جابر منذ صِغره مُولعاً بالعِلم والمعرفة ولعلّ هذا هو سِرّ ذهابه مع أسرته إلى البصرة حيث نَهل مِن عِلْمِها ورَحل إلى المدينة ومكّة ودَرس علَى كبار الصّحابة ﷺ وخاصّة حِبر الأمّة عبد الله بن عباس[5].

وفي البصرة أخذ جابر يتزوّد بالعلم والمعرفة وخاصّة ما يتعلّق بعلوم القرآن والحديث وما يتّصل بهما, وقد تَتَلمذ جابر على أيدي كثير مِن الصّحابة والتّابعين وأخذ عنهم الحديث والتّفسير وعلوم اللّغة والأدب[6].

ويُروَى عن جابر أنّه كان يقول: "أدركتُ سبعين بدريّاً فحويتُ ما عندهم إلاّ البحر"[7]. أي عبد الله ابن عباسﷺ، على أنّ الأخير لم يكن مِن أهل بدر. وفي القول دلالة علَى أنّ جابر قد أخذ عن مجموعة مِن الصّحابة الذين رافقوا رسول الله

---

[1] – عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص122.

– انظر: عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج الإباضيّة الشيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2005م، ص236.

[2] – عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص14.

– انظر: محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص106.

[3] – مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج2، من حرف الألف إلى حرف الزاي، ص217.

[4] – مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج2، من حرف الألف إلى حرف الزاي، ص217.

[5] – عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج الإباضيّة الشّيعة، مصدر سابق، ص236.

– انظر: عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص123.

[6] – علي يحي معمر: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص658.

[7] – عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص15.

ﷺ ونقلوا عنه عِلمه وسنّته الشّريفة. ومِن أهم العلماء الذين أخذ عنهم جابر: عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وغيرهم. إلاّ أنّه كان أكثر ملازمة لعَبد الله بن عباس مِن غيره وكان مِن أنجب تلاميذه[1]. وكان عبد الله بن عباس يقول عنه: "لو أنَّ أهل البَصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً في كتاب الله"[2]. وفي رواية أخرى أنَّه كان يُحيل سائليه إلى تلميذه جابر ويقول: "اسألوا جابر بن زيد, فلو سأله أهل المشرق والمغرب لَوَسعهم عِلْمه"[3]. وعندما كان يسأله أُنَاس مِن أهل البصرة كان يُبادرهم بقوله: "كيف تسألوني وفيكم جابر بن زيد (أو أبو الشعثاء). وقد وصفه عبد الله بن عمر بن الخطاب بأنّه مِن فقهاء أهل البصرة البارزين[4]. بينما قال عنه قتادة لمّا مات جابر: "اليوم مات أعلم أهل العراق" وقال إياس بن معاوية: "أَدْرَكْتُ النّاس ومالهم مُفْت غير جابر بن زيد، وفي تاريخ ابن أبي خيْثَمة كان الحسن البصري إذا غزا أفْتَى النّاس جابر بن زيد، وفي الضّعفاء للسّاجي عن يحي بن معين **كان جابر إباضيّا وعكرمة صفريّا**"[5].

يتّضح مِن المعلومات الواردة في المصادر الإباضيّة المتواترة أنّ جابر بن زيد قد انضمّ إلى القَعَدَة إبّان ولاية عبيد الله بن زياد الأموي للعراق. (56هـ/676م – 64هـ/684م)[6]، لذا فإنّ جابر بن زيد هو المؤسّس الحقيقي للفقه والفكر الإباضي بلا بلا شكّ وقد قال صاحب كتاب "إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء" بكلّ وضوح[7]:

---

[1] – علي يحيى معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص113.

– علي يحي معمر: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص 658.

[2] – محمد بن إسماعيل البخاري: التّاريخ الكبير، حيدر آباد، د ط، 1382هـ، ج1، ص204.

[3] – أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت928هـ/1522م): كتاب السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ط، 1884م، ص70.

[4] – عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص16.

[5] – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النّظاميّة، الهند، ط1، 1326هـ، ج2، ص38.

[6] – عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، مصدر سابق، ص20–21.

[7] – سالم بن حمود السيّابي: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، د ط، 1979م، ص4.

"إنّ مذهب الإباضيّة مبني على مُسند الربيع بن حبيب[1]، وأحاديثه مرويّة عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن الصّحابة, حيث كان جابر بن زيد مِن أوائل التّابعين الذين عَنَوْا بتدوين الأحاديث والسنّة النّبوية العطرة, وسبق جابر ذلك أصحاب المذاهب الأربعة المشهورين وقام جابر بن زيد بالعمل على قيام الإمامة العادلة المبنيّة على الأصول الصّحيحة للإسلام. ممّا يدلّ على شجاعته وفقهه المتميّز وعلمه الواسع وإيمانه القويّ الرّاسخ إنّه لم يتوقّف لحظة عن دروسه وتعاليمه, رغم سيطرة الحجّاج بن يوسف الثّقفي على العراق[2].

المطلب الثّالث: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة المخطِّط المحنَّك

هو أبو عُبَيْدَة مسلم بن أبي كريمة، هو مَولى بني تميم، ويقال إنّه كان مَولى لِعروة بن أديّة التّميمي أخ مرداس[3]، أصله مِن فارس، كان آية في الذّكاء، أُوتيَ المقدرة والكفاءة في التّنظير، وحُسن التّدبير؛ سياسيّ محنَّك، وعالِم جليل، عُرفت الإباضيَّة على يديه أكبر إنجازاتها السّياسية في المشرق والمغرب[4].

---

[1] – هو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي العُماني، وُلد بغطفان إحدى قرى الباطنة حوالي سنة 75هـ، ولم يمكث طويلاً في عُمان بل انتقل إلى البصرة لطلب العلم، فتتلمذ على الإمام جابر بن زيد، وأبو عُبَيْدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السّائب، وصالح الدّهان، واحتلّ بعد ذلك مكان الصّدارة تدريساً وتأليفاً وإفتاءاً، أشرف على حَمَلة العلم ووجّههم إلى عُمان واليمن وخراسان. من أهمّ مؤلّفاته: "الجامع الصّحيح، مسند الإمام الرّبيع بن حبيب"(عمدة الإباضيّة في السنَّة). و"آثار الرّبيع"،وقد رواه عنه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة. مجموعة من الفتاوي والإجابات في العبادات والمعاملات وردت في مدوّنة أبي عامر الخراساني. وقد اعتُبر الرّبيع المحدّث الحافظ ثقةً عند الأصحاب، وعدله الإمام أحمد وأورده ابن حبّان في الثّقات، ووثّقه يحي بن معين وعلي بن المديني، وترجم له الذّهي في ميزان الاعتدال، وأجمع الأصحاب على عدالته وضبطه وإتقانه سلفاً وخلفاً. وبعد سنوات حافلة بجلائل الأعمال قضاها الرّبيع إماماً ومربّياً بالبصرة، وداعياً ومحدّثاً ومفتياً، عاد إلى عُمان ليعيش بها ما تبقّى من عمره، وتوفّي بغضفان مسقط رأسه سنة 170 هـ.

– علي يحي معمّر: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص661–662.

[2] – سيدة إسماعيل كاشف: عُمان في فجر الإسلام، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ط3، 1989م، ص57.

[3] – محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص127.

– يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضيّة في المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن السّابع الهجري، مصدر سابق، ص31.

[4] – مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج4، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص873.

وُلدَ بالبصرة وعاش بها، ويقال إنّه كان زنجيّاً أسود اللّون، أعور، وقد عميَ آخر عمره، عاش فقيراً يقتات مِن عمل السّعف، يصنع منها القفاف ولذلك لُقّب بالقَفَّاف[1].

يمكن القول أنّ ولادته ـ مع اختلافاتها عند الباحثين ـ كانت حوالي سنة 45هـ/665م، وتوفّي حوالي سنة 145هـ/762م، حسب بعض القرائن التّاريخيّة. وكُنيَ الإمام أبو عُبَيْدَة بِابنته عبُيّدْة التّي أخذتْ العِلْم عن والدها، فرُويَتْ عنها آثار في كُتب الفقه الإباضي[2].

أخذ الإمام أبو عُبّيْدة العِلْم عن شيوخ أجلاّء مثل الصّحابيّ صحّار العبدي، وجابر بن زيد، وجعفر بن السمّاك، وضمّام بن السّائب، وهم أشهر علماء الإباضيّة في مرحلة الكتمان[3]. وَطَّن نفسه علَى طلب العِلْم والاستفادة منه، فقد مَكَث في التّعلُّم طالباً أربعين سنة، ثمَّ مكث بعد ذلك في التّعليم أُستاذاً أربعين سنة أخرى[4].

يُعتبَر أبو عُبَيْدة الرّكن الثّالث في المدرسة الإباضيّة تاريخيّاً، تمكّن أن يُنظّم الحركة الإباضيّة بعد أستاذه جابر بن زيد بكلّ ذكاء ومهارة، معتمِداً في ذلك على التّربية القرآنيّة. فأنْشأَ مدرسة سرّية في البصرة لتخريج دعاة البناء والحقّ والدّعوة[5]، حتّى قيل أنّه كان يُدرّس في مجالس سريّة في سرداب، وجعل فيه سلسلة وطفق

---

[1] – محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص127– 128.

– انظر: علي يحيى معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص118.

[2] – محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص127–128.

– انظر: مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج4، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص873.

[3] – محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص127.

[4] ـ مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج4، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص874.

– انظر: عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص125.

[5] – بكير سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، مصدر سابق، ص12.

يعمل القفاف ببَاب السّرداب، فمتَى رأى شخصاً مُقبلاً حرّك السّلسلة فسكتوا، فإذا انصرف حرّكها فيأخذون في دراستهم[1].

ونظراً لنشاطه الدّؤوب تعرَّضت له عيون الحجَّاج بن يوسف الثّقفي، فأَدخله سجنه، ولم يخرج منه حتَّى هلك الحجَّاج سنة 95هـ/713م، فأفرج عنه ليعود إلى نشاطه العلميِّ والدعويِّ، فتولَّى إمامة الإباضيَّة بعد الإمام جابر بن زيد الذي توفِّي سنة 93هـ/711م. فإذا كانت الإباضيَّة عرفت إمامتها العِلمِيَّة في شخص الإمام جابر بن زيد الأزديِّ، وإمامتها السِّيَاسِيَّة في شخص عبد الله بن إباض المرِّي التميميِّ، فإنَّها عرفتهما معاً في شخص أبي عُبَيْدَة مسلم بن أبي كريمة، الذي بعثه الله على رأس المائة الثّانية ليُحيي لهذه الأمَّة أمْرَ دينها؛ فخلف جابر بن زيد وتابع أعماله وإنجازاته، ونظَّرَ للنّجاحات الكبيرة التي حقَّقها الإباضيَّة في خلال عهده في النصف الأوَّل مِن القرن الثاني الهجريِّ[2].

ولقد اكتملتْ صورة المذهب الإباضي علَى يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، المتوفِّي في خلافة أبي جعفر المنصور وإليه انتهت رئاسة الإباضيّة بعد موت جابر بن زيد. وبإشارته أسّس الإباضيّة في كلٍ مِن المغرب وحضر موت دُولاً مستقلّة وتخرّج على يديْه رجال الفكر والدّين مِن مختلف الدّول الإسلاميّة آنذاك عُرفوا بحمَلة العِلم. ولقد أفلح عبد الرحمن بن رستم في تأسيس الدّولة الإباضيّة بـ "تهارت" فهو تلميذ مِن تلاميذ أبي عبيدة وأحد حمَلة العِلم[3].

ولقد كان ابن أبي كريمة صاحب عقل مرتّب منظّم مخطّط للإباضيّة فدبّر ونظّم وجمع أموالاً كثيرة وتمكّن مِن شراء الأسلحة والمعدّات لتَظهر في الوقت المناسب لاستخدامها في الاستعانة علَى ظهور المذهب الإباضي وقد استطاع أعوانه نشر

---

[1] – عبد الرّحمان عثمان حجازي: تطوّر الفكر التّربوي الإباضي في الشّمال الإفريقي، من القرن الأوّل حتّى القرن العاشر هجري (95هـ/713م) – (928هـ/1520م)، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ص26.

[2] – مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج4، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص874.

[3] – بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1402هـ/1982م، ص16.

المذهب الإباضي في الأطراف في اليمن وكذلك بين المغاربة بل استطاعوا إعلان إمامة الظّهور سنة 140هـ/757م[1].

المبحث الثّالث: أَهَمّ الآراء العقديّة عند الإباضيّة

سأقتصر على ما أَوردَته المصادر الإباضيّة فقط، دون مقارنتها بغيرها مِن المصادر غير الإباضيّة، وسأتحدث عن أهم العقائد الإباضيّة فقط، دون التّفصيل في أدلّتها، لأنّ ذلك يتطلّب بحثاً مستقلاً، ولأنّنا لسنا في موضوع عقدي.

أوّلاً: التَّوحيد

كلّ ما في الكون يُثبت وجود الله، فإحكام صنعه وتدبيره في العالم، وخلْق الإنسان، وانتقاله مِن حال إلى حال دليل على وجوده ﷻ. ومعرفة وجود الله ﷻ تحصُل للإنسان إمّا بالعقل أو بالنّقل. وقد لخّص لنا بَكار بن محَمَّد الفزّاني[2] طرق إثبات وجود الله ﷻ في جواب رجل لآخر قال فيه: "قال الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[3] .

الله ﷻ اللطيف الخبير لطف بعباده حين أخبرهم عن نفسه مِن غير رُؤية ولا مُشافهة. فإنّما عُرِف الله ﷻ برُسله مع الإلهام مِن الله ﷻ والتوفيق، وعُرفت الرّسل بالله ﷻ، وبالإلهام الذي يقذفه الله ﷻ في قلوب العباد، والتّوفيق"؛ فأدلّة وجود الله ﷻ عند بكار تتمثّل في:

1 – التمعّن في بدائع صنع الله ﷻ، بإيراده للآية.

2 – إخباره جلّ وعلاَ عن نفسه.

---

[1] – عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص125.

[2] – هو بكَّار بن محمد الفزَّاني من طبقة الإمام عبد الوهَّاب بن رستم (ت208هـ/823م)، قال الشمَّاخي: "له مؤلَّفات" ولكنَّه لم يذكرها، له كتاب يعرف باسمه: "كتاب بكَّار بن محمَّد الفزَّاني"، ومنه نسخة بمكتبة عشيرة آل يدَّر ببني يسجن، ونسخة أخرى رديئة بالمكتبة البارونية بجربة، وجزء منها في مكتبة آل أفضل.

– انظر: مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج2، من حرف الألف إلى حرف الزاي، ص173.

[3] – سورة فُصِّلت، الآية: 53.

3 – إرساله الرّسل المبلّغين.

4 – الإلهام الذي يقذفه الله ﷻ في عباده[1].

هذه هي أهم الاستدلالات لإثبات وجود الله ﷻ، والوصول إلى معرفته، وقد جاءت بسيطة ومقنعة بعيدة عن الصّياغة الفلسفيّة المنطقيّة الموغلة في الاستنباط العقلي. وبعد إثبات وجود الله ﷻ علينا أنْ نوحّده[2].

التّوحيد لغةً: مأخوذ مِن مادّة "وحَّد" الله ﷻ: أقرَّ وآمن بأنّه واحد. وـ الشيءَ: جعله واحداً[3]، وانفرد بنفسه[4]، حيث يتّضح أنّ هذا التّعريف جمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للكلمة[5].

التّوحيد اصطلاحاً: يعرّفه الإمام جابر بن زيد قائلاً: "التّوحيد معرفة الله ﷻ، ونفي الأشباه والأمثال عنه، ومَن لا يعرف توحيد الله ﷻ فليس بمؤمن". ويَعتبر الإمام أبو عبيدة التّوحيد مِن أفضل العلم. وأنّه فرْض على كلّ مكلَّف. ويَعتبر أبو ستة (ت 1088هـ) التّوحيد أيضاً مِن العلم الذي لا يسع جهله[6].

---

[1] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، تقديم: وينتن مصطفى بن النّاصر، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب، سلطنة عُمان، د ط، 2013م، ص280.

[2] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص281.

[3] – إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مَجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف بمصر، ط 2، 1392هـ / 1972م،ج2، ص1016.

[4] – المُنجِد الأبجدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 8، 1986م، ص1142.

[5] – قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج: الشيخ علي يحيى معمر أضواء على شخصيته وفكره، تقديم الدكتور: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، نشر جمعية التراث، القرارة، ولاية غرداية، الجزائر، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد، د ت، ص149.

[6] – محمد بن عمرو بن أبو ستة: حاشية الترتيب على الجامع الصحيح، ترتيب الشيخ أبي يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني لمسند الحافظ الثقة الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، (ت حوالي 175هـ)، تحقيق: ابراهيم محمد طلاي، د د، د ط، د ت، ج1، ص32.

وخلاصة ما عند الإمام الإباضي محمد بن يوسف اطفيّش[1] في هذا الموضوع: "متى أتى العبد بجملة التّوحيد كاملةً فقد تمّ التّوحيد، وخرج مِن الشّرك. وهذه الجملة هي شهادة أنّ لا إله الله وأنّ محمدًا رسول الله ﷺ، وأنّ ما جاء مِن عند ربّه هو الحق، والإيمان بجملة الملائكة والأنبياء والرّسل وجملة الكتب التي أنزلها على رسله، والإيمان بأنّ الموت حقّ. وأنّ النار حقّ، والإيمان بالقضاء والقدر. فمن أقرّ بهذه الأمور التي كان يدعو إليها رسول الله ﷺ فقد تمّ إيمانه فيما بينه وبين الله ﷻ "[2].

ويؤكّد الإباضيّة على أنّ التّوحيد مِن المسائل الرئيسيّة التي لا يجوز أنْ يجهلها العبد متى بلغ وأصبح مكلّفاً يقول الجناوي الإباضي في كتاب الوضع: "إنّ علم ما لا

---

[1] – هو امحمّد بن يوسف بن عيسى اطفيّش الشهير بـ"قطب الأيمّة"، (و1237هـ/1821م – ت: السبت 25 ربيع الثّاني 1332هـ/1914م)، وهو من عائلة شهيرة بالعلماء من بني يسجن، من عشيرة آل با محمّد، وُلد بغرداية لمّا انتقل إليها والده، وعاش ها طفولته الأولى، وفي الرّابعة من عمره توفّي والدُه، توسّمت فيه بوادر النّبوغ، ختم القرآن وحفظه وهو ابن ثمان سنين، ففتح اله مجال العلم، وسارع إلى دور العلماء وحلقات الدّروس بالمسجد. نشأ عصاميّا، لم يُسافر للدّراسة خارج موطنه، وجعل دأبه الحرص على اقتناء الكتب واستنساخها، فتجمّعت لديه مكتبة غنيّة، تعتبر فريدة عصرها بالنّظر إلى ظروف صاحبها، وما كاد يبلغ السّادسة عشرة، حتّى جلس للتدريس والتأليف، ولمّا بلغ العشرين أصبح عالمَ وادي ميزاب، ثمّ بلغ درجة الاجتهاد المطلق في كهولته، كما يذكر ذلك بنفسه في كتّابه:"شامل الأصل والفرع". أنشأ القطب معهد للتدريس ببني يسجن، تخرّج فيه علماء ومصلحون ومجاهدون، له منهج في التّدريس يعتمد على استغلال الوقت، ولا يُدرّس في الليل إلاّ الغراء والنّجباء والمتفوّقين، لأنّه كان يخصّص الليل للتأليف والإجابة عن الرّسائل والاستفتاءات المتهاطلة عليه، ويستعمل اللسان البربري المحلّي كأداة للتدريس عند الاقتضاء، وبهذا المنهج في التّعليم، والسّعة في العلم انهال عليه الطّلبة من مختلف الأقطار الإسلاميّة، وقد شملت تآليفه مختلف فروع المعرفة، في المنقول والمعقول، من بينها: تيسير التّفسير– همیان الزّاد إلى دار الميعاد– شرح عقيدة التّوحيد، الرّد على الصّفرية والأزارقة– الرّسالة الشّافية في بعض تواريخ وادي ميزاب. وقد شهد له بالرسوخ في العلم علماء كثيرون: منهم الشّيخ محمّد عبده، والشيخ زيني دحلان، وبعض علماء الحجاز. ولقّبه الشّيخ نور الدّين السّالمي– مجدّد العلم بعُمان– بـ :"قطب الأيمّة". وتوفّي بمرض دام أسبوعاً، بعد أن قضى قرابة قرن في الجهاد العلميّ والإصلاح.

– مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، مصدر سابق، ج4، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص835–848.

[2] – محمد بن يوسف اطفيّش: الذهب الخالص المنوّه بالعلم الخالص، المطبعة العالمية، سلطنة عُمان، د ط، د ت، ص11 – 12.

– أبو الحسن علي بن محمد البسياني: مختصر البسيوي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، د ط، 1397هـ، ص9.

يسع النّاس جهله طرفة عين هو علم التّوحيد والشّرك فلا يسع جهلها لأنّ مَن جهل الشّرك لم يعلم التّوحيد، فوجبت معرفة التّوحيد والشّرك مع أوّل البلوغ"[1].

ثانياً: أسماء الله ﷻ وصفاته

يُعتبر موضوع صفات الله ﷻ والإيمان بها مِن أهمّ المباحث المتعلّقة بتوحيد الله ﷻ ومعرفته والإيمان به ﷻ، فمن خلاله يزداد الإنسان معرفةً بربّه ويصفه بما يليق به مِن صفات الكمال، وينفي عنه ما لا يجوز في حقّه مِن صفات النّقص والعجز[2].

الصّفة لغةً: الحالة التي يكون عليها الشيء مِن حلْيَته ونَعْته: كالسّواد والبياض، والعلم والجهل. وعند النّحويّين: النّعت، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصّفة المشبّهة، واسم التّفضيل أيضاً[3].

الصّفة اصطلاحاً: هيّ عند الشيخ اطفيّش المعاني المصدرية الخالية مِن الذّات، فإنْ أُريدَ التّعبير بها عن الذّات صيغ منها اسم الفاعل، أو الصّفة المشبّهة مثل: صياغة العليم والعالم مِن العلم، والقادر والقدير مِن القدرة والمزيد مِن الإرادة[4]. ويرى الإباضيّة أنّ الصّفات أمور اعتباريّة أي معانٍ لا حقيقة لها في الخارج، وإنّما وصف الله ﷻ بها ذاته ليخبرنا أنّ أضدادها منفيّة ومستحيلة في حقّه ﷻ، كما أنهّا أزليّة قديمة[5].

ويرى الشيخ معمّر أنّ "صفات الباري ﷻ كاملةً لا يَعير بها نقص ولا تشبيه صفات المخلوقين". فهو بذلك يحدّد لها خاصّيتين: خاصيّة الكمال وخاصيّة مخالفة

---

[1] – أبو زكريا الجناوي: كتاب الوضع، مطبعة الإستقامة، سلطنة عمان، د ط، د ت، ص30.

– عبد الله بن حميد السالمي: كتاب تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، المطبعة العصرية، الكويت، د ط، 1970م، ص9.

[2] – قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: الشيخ علي يحيى معمر أضواء على شخصيته وفكره، مصدر سابق، ص161.

[3] – إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مَجمع اللغة العربية، مصدر سابق، ج2، ص1037.

[4] – مصطفى وينتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش العقدية (1238 ـ 1332هـ/1821 ـ 1914م)، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، د ط، 1996م، ص119.

[5] – فرحات بن علي الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص229.

المخلوقات، وهذا ما يتوافق مع الآية المحكمة لقوله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[1]. ويعبّر الشيخ بهذا عن رأي مذهبه ولم يخرج عن نظرته إلى الموضوع[2].

يرى السّالمي الإباضي "أنّ أسماء الله ﷻ وصفاته توقيفيّة أي أنّ الإباضيّة لا يُجَوّزون أنْ يُثبتوا لله ﷻ صفةٍ ولا اسماً إلاّ إذا ورد الإذن مِن الشّارع بذلك"[3].

وقد قسّم الإباضيّة الصّفات إلى قسمين ذاتيّة وفعليّة باعتبار أنّ هذا التّقسيم الأكثر شُهرة واستعمالاً عند الإباضيّة:

1 ــ <u>الصّفات الذّاتيّة</u>: فقد عرّفها علماء الإباضيّة أنّها: "أمور اعتباريّة، أي: معانٍ لا حقيقة لها في الخارج[4]، وهي كُلّ صفة لا تُجامع ضدَّها في الوجود ولو اخْتَلف المحلّ كالعلم والقدرة، والإرادة. فلا يُقال عندهم: عَلِمَ الله ﷻ كذا، وَجهلَ كذا كما يقولون: أراد كذا، وأُكره على كذا[5].

2 ــ <u>الصّفات الفعليّة</u>: يعرّفها البيهقي أنّها: "تسميات مشتقّة مِن أفعاله، ورد السّمع بها مستحقّة له فيما لا يزال دون الأزل، لأنّ الأفعال التي اشتقّت منها لم تكن في الأزل"، فيعني أنّ صفات الفعل ما دلّ على أفعال الله تعالى، وارتبط بزمن محدود البداية[6].

والصّفات الفعلية هي كل صفة جاز أنْ تُجامع ضدّها في الوجود عند اختلاف المحلّ، كأن يُوَسّع في رزق زيد، ويُضَيّق في رزق عمرو، وصفات الفعل عند

---

[1] – سورة الشورى، الآية: 11.

[2] – قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: الشيخ علي يحيى معمر أضواء على شخصيته وفكره، مصدر سابق، ص162.

[3] – عبد الله بن حميد السالمي: بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ط2، 1411هـ/1991م، ج1، ص23.

[4] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص302.

[5] – أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي: قناطر الخيرات، تحقيق: عمر بن خليفة النامي، القاهرة، ط1، 1965م، ج1، ص301.

[6] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص303.

الإباضية تنفي عن الله ﷻ تعالى الله، في الأزل فيُصبح القول عندهم كان الله ﷻ ولم يرزق ولم يرض، أي أنّ هذا القسم مِن الصفات التي أسْمَوْها صفات الله ﷻ الفعلية لا يجوز عندهم أنْ يتّصف بها الباري ﷻ في الأزل، وإنّما يتّصف بها فيما لا يزال[1].

ثالثاً: الإستواء و العلوّ

يقول الرّستاقي الإباضي: "الإستواء في لغة العرب علَى معنيَيْن، أحدهما: الجلوس علَى الشّيء، والممارسة له، كما يستوي الفارس علَى فَرسه، والملِك علَى سريره، وهذه صفة مَن يَستوي، بعد أنْ كان مائلاً ويعتدل بعد أنْ كان أعوج، والله ﷻ منزّه عن هذه الصّفة أي الاستواء، والوجه الثّاني: هو استواء الملِك والقدرة والتدبير وهو معروف عند العرب"[2].

يقول صاحب (قناطر الخيرات) "وقد ثبتَ استحالة كونه جوهراً أو جسماً فاستحال كونَه مختصّاً بجهة وثبتَ أنّه ﷻ في كلّ مكان"[3].

ويشرح الرّبيع بن حبيب قوله: "ثمّ استوى علَى العرش"، "يعني استوى أمره وقدرته ولطفه فوق خلقه، ولا يُوصَف الله ﷻ بصفات الخلق ولا يقع عليه الوصف كما يقع علَى الخلق"[4]. كما يُنسب إلى الربيع قوله أنّ عبد الله بن مسعود وعائشة وابن عمر وابن الحنفيّة وعروة بن الزبير أنّهم كانوا يُنكرون ما يقول أهل الشّام في الصخرة مِن أنّ الله ﷻ وضع قدمه على صخرة بيت المقدس[5].

---

[1] – عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ، ص173.

[2] – خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي الرستافي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، مكتبة مسقط، مسقط عمان، ط 1، 1427هـ/2006م ، ج1، ص109.

[3] – أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي: قناطر الخيرات، تحقيق: عمر بن خليفة النامي، القاهرة، ط1، 1965م، ج1، ص294.

[4] – الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، ضبطه وخرّج أحاديثه: محمد إدريس، وراجعه وقدم له: عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، د ط، د ت، باب قوله تعالى: "الرحمان على العرش استوى"، ج3، ص35–36.

[5] – المصدر نفسه، ج3، ص35.

رابعاً: مسألة رؤية الله ﷻ

الرّؤية لغة مِن رأى يرى رَأياً ورُؤْية وَرَاءةً: نَظَر بالعين أو بالعقل، والرُّؤْية جمع رؤًى: النّظر بالعين أو بالقلب[1]. والرّؤية: إبصار هلال رمضان لأوّل ليلة منه، وفي الحديث: "**صوموا لرؤيته**"[2].

احتدم النّقاش بين المسلمين حول جواز رؤية الله أو استحالتها، وكان موقف الإباضيّة مع النّافين لرؤيته تعالى استناداً إلى أدلّة نقليّة وعقليّة[3] منها:

لا تقول الإباضيّة برؤية الله ﷻ لا في الدّنيا ولا في الآخرة، مُستندين إلى رواية محمد بن الشيباني التي يرويها الرّبيع بن حبيب في مسنده: "روى محمد بن الشيباني أنَّ النبي ﷺ سُئل هل ترى ربّك فقال: "**سبحان الله وأنّى أراه**"[4]. ومِن الأحاديث التي استندوا عليها في ذلك ما أخرجه الإمام الربيع في مسنده، والشيخان في صحيحهما عن مسروق قال: "كنت متّكئاً عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاث مَن تكلّم بواحدة منهن فقد أعظم علَى الله ﷻ الفريّة. "**مَن زعم أنّ محمداً ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله ﷻ الفريّة**"، قال: وكنت متّكئاً فجلستُ وقلتُ: يا أمّ المؤمنين أُنظريني ولا تَعجليني، ألم يقل الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾[5]، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[6] فقالت: أنا أوّل هذه الأمّة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنمّا هو جبريل لم أرَه في صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرّتيْن، رأيته مُنهبطاً مِن السّماء سادّاً عَظْم

---

[1] – المنجد الأبجدي، مصدر سابق، ص470-471.

[2] – إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مَجمع اللغة العربية، مصدر سابق، ج1، ص320.

[3] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص319.

[4] – الربيع بن حبيب: مسند الإمام الربيع بن حبيب، مصدر سابق، باب ما جاء عن ابن عباس في النظر، رقم 856، ج3، ص227.

[5] – سورة التّكوير، الآية: 23.

[6] – سورة النجم، الآية: 13.

خلقه ما بين السماء والأرض. فقالت: أوَلَمْ تسمع أنَّ الله ﷻ يقول[1]: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[2].

وقد أخرج الإمام الرّبيع عن عليّ وابن عباس ﷺ أنّهما استدلاَّ على نفي رؤية الله ﷻ بهذه الآية الكريمة[3].

يقول السّالمي وهو مِن كبار الإباضيّة: "وجه الإستدلال بهذا الحديث – حديث عائشة– هو أنَّ مقالة عائشة هذه صريحة بالبراءة ممّن قال بذلك، لأنَّ عظم الفريّة علَى الله ﷻ فِسق اتّفاقاً، ويلزم القائل: إمَّا كذَّب القول بأنَّ محمد ﷺ رأى ربَّه، وإمَّا تضليل عائشة حيث فَسقَتْ قائلاً بصدق على صدقه، ولا محلّ للاجتهاد هنا لأنّه ليس للمجتهد أن يفسق من خالفه في اجتهاده إذا كان محلّ الاجتهاد ضنّياً "[4].

خامساً: مسألة خَلق القرآن

الخَلق لغة: خلَقَ خَلْقاً وخَلْقَةً: وجَدَه وأَبْدَعَه مِن العَدم[5]، وخَلَقَ الثَّوبَ والجِلْدَ ونحوهما، قدَّرَه وقَاسَه علَى ما يريد قبل العمَل، ويُقَال فلان يَخْلُقُ ثمّ يَفْري: يُقرّر الأمر ثمّ يُمضيه. ويُقال خَلَقَ القول: افتَرَاهُ. وفي التّنزيل العزيز[6]: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[7].

يذكر الشيخ محمد اطفيّش (1238–1332هـ/1821–1914م) في كتابه: (شرح عقيدة التّوحيد) ما يلي: "وليس مِنَّا مَن قال أنَّ القرآن ليس بمخلوق"، وأنَّ هذه

---

[1] – أحمد بن حمد الخليلي: الحق الدامغ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د ط، د ت، ص72.

[2] – سورة الأنعام، الآية: 103.

[3] – الربيع بن حبيب: مسند الإمام الربيع، مصدر سابق، ج3، ص 226–227.

– انظر: علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص54.

– مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص321.

[4] – عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، مصدر سابق، ص190.

[5] – المنجد الأبجدي، مصدر سابق، ص419.

[6] – مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج1، ص252.

[7] – سورة العنكبوت، الآية: 17.

الألفاظ المكتوبة الحروف المجزّأة المفصّلة كلمات وآيات وسُوَراً ونحو ذلك، المتّصفة بالعربية والتلاوة والإنزال والإحداث والجَعْل وسائر لوازم الحدوث ترجمة القرآن لا نفس القرآن، كما أنّ لفظ الجلالة ترجمة عن الذّات والواجب، قلنا: بل هو مخلوق، والموجود في القرآن والحديث وكلام الصّحابة أنّ القرآن هو تلك الألفاظ المكتوبة الحُروف المجزّأة المفصّلة المتّصلة بالتّلاوة والإنزال والإحداث والجعل وسائر لوازم الحدوث، وذلك نصٌّ وصريح، ومَن ادّعى أنّها ترجمة القرآن فليَأْت بدليل، ولا يجد دليلاً، والقديم إنّما هو عِلْم الله ﷻ ما في القرآن إنّه كان كذا وسيكون كذا[1].

يقول الشّيخ الخليلي: "نحن عندما نتحدّث عن خَلْق القرآن، فإنّما نتحدّث عن هذا القرآن المتْلُو بالألْسن المكتوب في المصاحف السّابق تعريفه، ولَسْنا نتحدّث عن تسميته قرآناً، وإنّما اصطَلَحت الأشاعرة علَى تسميته بذلك، ولا مشاحة في الاصطلاح، غير أنّهم لم يَسْتَنِدُوا في اصْطلاحهم هذا علَى شيء ثابت سماعه، فلذلك لم نعوّل عليه، ونحن نُثبت لله ضفة الكلام كما قال الإمام ضياء الدّين عبد العزيز الثّميني –رحمه الله– في مَعَالمه: "أعلَم أنّ الكلام يُضاف تارة إلى الله ﷻ علَى معنَى نفي الخرس فيكون صفة ذات علَى ما مرّ في الصّفات، وتارة يضاف إليه علَى معنى أنّه فعلٌ له، فيكون فعلاً مِن أفعاله سبحانه، فمَعنَى كونه متكلّماً علَى الأوّل أنّه ليس بأخرس، وعلى الثّاني أنّه خالِق الكلام"[2].

وقد استدلّ الإباضيّة علَى القول بخلق القرآن بالآيات التّالية:

1– قوله ﷻ: ﴿ ذَالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[3]. ووجه الاستدلال به أنّ القرآن إمّا أنْ يكون شيئاً أو لاَ شيء، فإنْ لم يكن شيئاً فاعْلم الاختلاف إنْ كان

---

[1] – محمد بن يوسف اطفيّش: (1238– 1332هـ/1821–1914م): شرح عقيدة التوحيد، تحقيق: مصطفى بن الناصر وينتن، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1422هـ/2001م، ص552.

– انظر: أحمد بن حمد الخليلي: الحقّ الدّامغ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د ط، د ت.، ص100.

– انظر: عدّون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص70.

[2] – أحمد بن حمد الخليلي: الحق الدامغ، مصدر سابق، ص103.

[3] – سورة الأنعام، الآية: 102، سورة الرعد، الآية: 16، سورة الزمر، الآية: 62، سورة غافر، الآية: 62.

المختَلَف عليه معدوماً؟ وما الذي أنزله الله ﷻ وفصَّله وأحكَمَه إنْ كان ذلك غير واقع علَى شيء؟ وإن كان شيئاً فما الذي يُخرجه مِن هذا العموم؟

2 – قوله ﷻ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾[1]، وهذا الوصف ظاهر في القرآن فإنّه مُقَدّره سوره وآياته وجمله وكلماته،وحروفه وحركاته وتلاوته ومعانيه، وحُكمه وأحكامه،وأخباره، وأمثاله.

3– قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2].

4– قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، والاستدلال به علَى خلقه مِن وُجهتين:

<u>أولّها</u>: الإخبار عنه أنَّه مجعول والمجعول هو المُصَيَّرُ مِن حال إلى حال، وهذا لا يكون إلاَّ في المخلوق.

<u>ثانيها</u>: تعليل جَعله عربيّاً بقصد عقل المخاطبين له. قال الإمام أبو اليقضان محمد بن أفلح: "فمعنى جَعلنا في مثل هذه المواضع التي ذكرنا: خلقنا..."[4].

<u>سادساً: حُكْم مُرتكب الكبيرة</u>

يعتقد علماء الإباضيّة أنّ مَن عمل السّيّئات، وارتكب المعاصي، واقترف الكبائر، ومات عليها، فجزاؤه النّار نكالاً بما فرّط في دنياه مِن أوامر الله، وبما أتى لمَا نُهيَ عنه. وما يُثبتُ مصير النّار لِصاحب الكبيرة عند الإباضيّة نجد ما يأتي:

ـ كان جابر بن زيد إذا تلا قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾[5].

---

[1] – سورة الفرقان، الآية: 2.

[2] – سورة القمر، الآية: 49.

[3] – سورة الزخرف، الآية: 3.

[4] – أحمد بن حمد الخليلي: الحقّ الدامغ، مصدر سابق، ص168.

[5] – سورة النّساء، الآية:29– 30 .

قال:"كبيرتان إلى النّار؛ الدمّ والمال"[1].

ـ يستدلُّ هود بن محكّم علَى أنّ مصيرَ صاحب الكبيرة إلى النّار بقوله ﷻ :

﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [2].

ويحُاَججُ مُخالفيه بأنّ الآية صريحة في المؤمنين، ومع ذلك تُوعدُ بالعذاب الأليم إن لم ينفروا مع رسول الله ﷺ إلى الجهاد.

أمّا حُكم مرتكب الكبيرة في الآخرة فلا خلاف بين الإباضية علَى أنّ صاحب الكبيرة كافر النعمة إذا خرج مِن الدنيا غير مُقْلع عن الكبيرة وتائباً منها فهو كافر مخلّد في النّار[3]. "والكبيرة التي اقترفها ولم يتبْ منها أو لم يقم عليه حدّها قد أحبطت الطّاعات التي قام بها"[4]. يعلّل الرستاقي ذلك بقوله: "والحكمة في خلود أهل الكبائر في النار أنّ العاصي إذا عصَى فقد عصى ربّاً عظيماً لا نهاية لعظمته، فكذلك يكون عذابه بخلود لا نهاية له"[5].

سابعاً: عذاب القبر

يُثبتُ علماء الإباضيّة عذاب القبر، ولا يَشذُّ منهم أحد، لكثرة الأدلَّة الواردة في القرآن الكريم والسنّة النبوية؛ فأمَّا أدلَّة الحديث الشريف فنقتصر على ما ورد في ترتيب المسند مِن الأحاديث وهي[6]:

---

[1] – مصطفى بن محمد بن إدريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص464 – 465 .

[2] – سورة التّوبة، الآية: 39 .

[3] – جميل بن خميس السعدي: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان،د ط، 1404هـ/1984م، ج6، ص3 .

[4] – جميل بن خميس السعدي: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، مصدر سابق، ج6، ص3.

[5] – خميس بن سعيد الشقصي الرستافي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، مكتبة مسقط، مسقط عمان، ط1، 1427هـ/2006م، ج1، ص523.

[6] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص355.

– حديث خسوف الشمس، عقّبتْ عليه عائشة ﵂ بقولها: إنَّ رسول الله ﷺ أمرهم أنْ يتعوَّذوا من عذاب القبر[1].

– حديث: "**إنَّ أَحَدَكُم إذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدَهُ بالغَدَاة وَالعَشيّ؛ إنْ كَانَ منْ أَهْل الجَنَّة وَإن كَانَ منْ أَهْل النَّار، فَيُقَال لَه: هَذَا مَقْعَدَكَ حَتّى يَبْعَثَكَ الله يَوْمَ القيَامَة**"[2].

– حديث مرور رسول الله ﷺ برجلَيْن يُعذَّبان في القبر فقال: "**يُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَان بكَبيرَة، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَقَد كَانَ لاَ يَسْتَبْرِئُ منَ البَول، وأَمَّا الآخَر فَقَد كَانَ يَمْشي بَيْنَ النَّاس بالنَّميمَة**"[3].

أمّا أدلّة القرآن الكريم فقد استدلّ هود بن محكّم لإثبات عذاب القبر بقوله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[4]. ففسّر المعيشة الضّنك بعذاب القبر[5].

---

[1] – الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث رقم:195.

– انظر صحيح البخاري: عن عبد الله بن مَسلمَة عن مالك عن يحي بن سعيد عن عَمرة بنت عبد الرّحمن عن عائشة زوج النّبي ﷺ: "أنّ يهوديّة جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألتْ عائشة ﵂ رسول الله ﷺ؛ أَيُعَذَّبُ النّاسُ في قُبُورهم؟ فقال رسول الله ﷺ عائذاً بالله من ذلك". – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ / 2004م. كتاب الكسوف، باب رقم:7، باب: التّعوّذ من عذاب القبر في الكسوف، مصدر سابق، حديث رقم: 1049، ج3، ص466.

[2] – الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث رقم:484.

– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رقم:79، باب: الميّت يُعرَضُ عليه مقعَدُهُ بالغداة والعشيّ، مصدر سابق، حديث رقم: 1379، ج4، ص210.

[3] – الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث رقم:487.

– انظر صحيح البخاري بلفظ: حدّثنا قُتَيْبة حدّثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن طاوس قال ابن عبّاس ﵄ :" مرّ النّبي ﷺ على قبريْن فقال: إنّهما ليُعذّبان وما يُعذّبان في كبير. ثمّ قال: بلى، أمّا أحدهما فكان يسعى بالنّميمة، وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله.قال: ثمّ أخذ عوداً رطباً فكسره بإثنتيْن، ثمّ غرز كلّ واحد منهما على قبر ثمّ قال: لعلّه يُخفَّف عنهما، ما لم ييْبسا".

– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رقم:77، باب:عذاب القبر من الغيبة والبول، مصدر سابق، حديث رقم: 1378، ج4، ص210.

[4] – سورة طه، الآية:124.

[5] – هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج3، ص57.

ثامناً: الصّراط

يقول مصطفى بن محمّد بن ادريسو: إنّ العالمَ الوحيد الذي تمكَّنَّا مِن الحصول على رأية في تفسير الصّراط هو هود بن محكّم الهوّاري، فقد أقرّ أنّ الصّراط بمعناه الحسّي لا المعنوي، إذ نقل قول بعضهم: "يميل بهم الصّراط مرّة إلى الجنَّة ومرّة إلى النّار، ثم يدخلون الجنّة". وأورد أحاديث مرفوعة وموقوفة تُثبتُ الصّراط بالمعنى الحسّي، نذكر منها[1]:

عن الحسن عن عائشة أنّها ذَكَرتْ النّارَ فبَكَتْ، فقال رسول الله ﷺ: "ما يبكيك؟ قالت: ذكرتُ النّارّ فبكيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ: "**أمّا في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان حتّى يعلمَ أيخفُّ ميزانُه أو يثقُل، وعند الكتاب حين يُقـــالُ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ﴾[2] حتّى يعلمَ أين يقعُ كتابُهُ، أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصّراط إذا وُضعَ بيْن ظَهْرَيْ جهنّمَ**"[3].

فالصّراط بهذا المفهوم هو: "الجسر الذي بين الجنَّة والنَّار، يمرّ النّاس على قدر أعمالهم، فمنهم مَن يمرّ كلمح البصر، ومنهم مَن يمرّ كالبرق ومنهم مَن يمرّ كالرّيح ومنهم مَن يمرّ كالفَرس الجواد. ومنهم مَن يمرّ كراكب الإبل، ومنهم مَن يعدو عَدْواً ومنهم مَن يمشي مَشْياً، ومنهم مَن يزحف زحفاً، ومنهم مَن يُخْطف خطفاً ويُلقَى في جهنّم، فإنَّ الجسر عليه كلاليب تخطف النّاس بأعمالهم، فمن مرَّ عَلَى الصّراط دخل الجنّة"[4].

---

[1] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص362.

[2] – سورة الحاقة، الآية: 19.

[3] – لفظ الحديث عن هود بن محكم: "حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز"، أنظر هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج2، ص196. – نقلاً عن: مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص363.

[4] – أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، جدّة، السعودية، 1996م،ج2، ص34.

تاسعاً: مسألة القضاء والقدر

يرتبط موضوع القضاء والقدر أساساً بفعل الإنسان لذلك صار الإنسان يتطلّع إلى معرفة حقيقة هذا الموضوع، ويبحث عن جانب المسؤوليّة التي يتحمّلها مِن جرّاء تصرّفاته ومَوَاقِفه في الحياة[1].

جاء في ترتيب المسند أنَّ جابر بن زيد يرى أنَّ الخلاف الأوَّل الواقع حول القضاء والقدر كان مصدره شرارة طارت بها الرّيح، فأحرقت بيت الله الحرام، فقال بعض النّاس: "قدّر الله ﷻ هذا، وقال آخرون "لم يقدّر الله ﷻ أن يحترق بيته"[2]. فمِن ثَمَّ وقع الخلاف الأوّل في القدر.

أمَّا مِن علماء الإباضيّة فَلَم نجد مَن عَرّف القضاء والقدر، فقد أورد السالمي ثلاث تعريفات في الموضوع، واعتبر مُؤدَّاها واحداً، وسنختار التعريف الآتي:"القضاء إيجاد جميع الكائنات إجمالاً في اللَّوح المحفوظ، أمَّا القدر فإيجادها تفصيلا في المواد الخارجيّة، واحداً بعد آخر"[3]، بدليل قوله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[4]. وعليه فالقضاء يختصّ بحكم الله ﷻ في الأزل، أمّا القدر فيختص في التّقدير والإيجاد في الدّنيا[5].

عاشراً: الإمامة

تنصيب الإمام عندهم واجب لتطبيق أحكام الله ﷻ في الأرض وإقامة الحدود، والإمامة عند الإباضيّة حقّ لكلّ مسلم إذا توافرت فيه الدّيانة والدّراية والغيرة والهمّة والشّجاعة[6]. ولا يرون للإمام عصمة، فالإمام كغيره مِن النّاس ومكلّف مِن طرف

---

[1]– مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص392.

[2] – الربيع بن حبيب: ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث: 418.

[3] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص394.

[4] – سورة الحجر، الآية:21.

[5] – مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص394.

[6] – محسن بربر: الإباضيّة، مصدر سابق، ص21.

الرّعيّة، ولا يشترط أنْ يكون مِن قبيلة دون أخرى المهمّ فيه الكفاءة والخبرة، وقد اختاروا عبد الرحمن بن رستم أنْ يكون إماماً للدولة الرّستمية في الغرب وهو لا ينتمي لعشيرة قويّة ولا إلى نسب قويّ بل أصله ليس مِن المغرب العربي بل هو مستورد مِن الفرس وقبلوا أنْ يبايعوه، وهذا أكبر دليل على عدم رؤيتهم بعصمة الإمام وعدم تشدّدهم أنْ يكون منهم مثل الشّيعة[1]. ولا يسمّون إمامهم أمير المؤمنين، ولا يسمّون أنفسهم مهاجرين، ويرون أنَّ العالم يفنى كلّه إذا فني أهل التّكليف[2].

المبحث الرابع: أماكن تواجد الإباضيّة

انحسر الإباضيّة مِن أكثر البلدان التي انتشروا فيها فلم يَبْقَوْا إلاّ في المواطن الآتية:

المطلب الأوّل: عُمان

يقول علي يحيى معمّر: "وأغلب سكّان عُمان إلى الآن على المذهب الإباضي، وقد تكوّنت لهم هناك دولة مستقلّة عن دار الخلافة منذ العهد الأموي حتى الآن، تسير أحياناً على نهج الإمامة العادلة، وأحياناً على منهج الملَكية المستبدّة، وأحياناً تنقسم إلى دولتين: أمامية مَلَكية"[3] حتّى تتغلّب إحداهما على الأخرى[4].

المطلب الثّاني: زنجبار

يقول علي يحيى معمّر: "كان أغلب سكّان زنجبار مِن الإباضيّة، وكانت لهم هناك دولة مَلكية وكان بها نشاط جيّد في نشر الثقافة الإسلاميّة، وتولّى بعض سلاطينها نشر بعض الكتب في الفقه والتّفسير والحديث والتّاريخ، وكان لأهل زنجبار

---

[1]– محسن بربر: الإباضيّة، مصدر سابق، ص22.

[2] – أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (ت حوالي 810م): دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضيّة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وأحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص12.

– انظر: محمّد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2011م، ص238.

[3] – علي يحيى معمر: الإباضيّة مذهب إسلامي معتدل، مصدر سابق، ص12.

– انظر: محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص60.

[4] – السيد عبد الحافظ عبد ربه: الإباضيّة مذهب وسلوك، القاهرة، ط 2، 1987م، ص286.

أياد طويلة في نشر الإسلام في شرق ووسط وجنوب إفريقيا بسبب العلاقات الاقتصاديّة الطيبة التي كانت تربطهم بتلك الجهات، وكانت سلطنة زنجبار تكون مع دولة عُمان قوّة رادعة لحماية الثّغور الواقعة علَى ساحل المحيط الهندي[1].

المطلب الثّالث: ليبيا

دخل المذهب الإباضي إلى ليبيا في أوائل القرن الثاني الهجري[2]، وقد تقلّص نفوذ الإباضيّة في ليبيا إلى جبل نفوسة[3] وزوارة. وشكّلوا في كلّ قرية أو مدينة مجلس مشايخ، ومِن رؤساء جميع المجالس كوّنوا المجلس الأعلى للعزّابة، وجعلوا مقرّ اجتماع المجلس الأعلى للعزّابة في الجبل في مدينة جادو، وقد تمّ اختيار هذه المدينة لتوسّطها بين مناطق المدينة في الجبل[4]. وقد قامت للإباضيّة في الجناح الغربي مِن ليبيا دول في فترات تصير متقطّعة[5].

المطلب الرّابع: تونس

في مطلع القرن الثاني الهجري بدأ المذهب الإباضي ينتشر بسرعة في تونس، كما انتشر في مصر وليبيا وبقيّة المغرب، وأهمّ سبب لانتشاره بسرعة أنّ أتباعه والدّعاة إليه حافظوا على صفاء الرّسالة الإسلاميّة، فلم ينحرف عن النهج القويم

---

[1] – السيد عبد الحافظ عبد ربه: الإباضيّة مذهب وسلوك، القاهرة، مصدر سابق، ص34.

– محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص60.

[2] – علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، الإباضيّة في ليبيا، مصدر سابق، ص283.

[3] – جبل نفوسة، كانت قبيلة نفوسة أكبر قبائل البربر وأكثرها انتشارا من طرابلس وجبل نفوسة وحتى القيروان، وكان الجبل معقلهم الأساس، ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب مسيرة ستة أيام، وارتفاعه نحو ثلاثة أيام، وهو عامر بالمدن والحصون والضياع والقرى، أهم مدنه: شروش، وجادو، ومسيف، كانت قبائل نفوسة على النصرانية قبل الإسلام، إعتنقت المذهب الإباضي في اوائل القرن الهجري الثاني، وأسهمت بنصيب وافر من ثورات الإباضيّة في الشمال الإفريقي، وكانت نفوسة رغم تبعيتها للدولة الرستمية إلا أنها كانت شبه مستقلة لبعتها عن تاهرت.

– انظر: أبو العباس أحمد بن سعيد، الشماخي: كتاب السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ط، 1884م،ج1، ص192 – 273.

[4] – عبد الرحمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي مِن القرن الأوّل حتى القرن العاشر هجري، مصدر سابق، ص58.

[5] – محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص60.

الذي عرفه النّاس لرسول الله ﷺ ولخلفائه الرّاشدين[1]. وقد تقلّص نفوذ الإباضيّة في تونس إلى جزيرة جربة ، والجزيرة يوجد فيها إلى جانب شيخ العزّابة شيخ آخر يُطلق عليه شيخ الحكم، وهو يتولّى الشؤون الإداريّة والسياسيّة والعلاقات الخارجية للجزيرة، في حين يتولّى شيخ العزّابة الشؤون الدّينيّة والاجتماعيّة باسم مجلس العزّابة[2].

المطلب الخامس: الجزائر

إنّ المذهب الإباضي دخل إلى الجزائر في أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثاني مع تلاميذ الإمام جابر بن زيد نفسه، ومنهم سلمة بن سعد الذي طاف جميع بلاد المغرب الإسلامي، واستطاع أنْ يكوّن بعثة علميّة في المغربين الأدنى والأوسط تحمل العلم مِن العراق، وتسير به مع الشمس[3].

لجأ الإباضيّة في الجزائر إلى مكان يحميهم مِن غارات الأعداء، فوقع اختيارهم على بقعة صحراوية بعيدة عن الأنظار وبمعزل عن مسالك البدو طلباً للأمن ومراعيهم وذلك بوادي ميزاب[4]. توافدت إليها جماعات من جربة ونفوسة وتاهرت

---

[1] – علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة، الإباضيّة في تونس، مصدر سابق، ص499.

[2] – عبد الرحمان عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الافريقي مصدر سابق، ص58.

– محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص60.

[3] – علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضيّة في الجزائر، مصدر سابق، ص10.

[4] – وادي ميزاب تبعد هذه المنطقة عن العاصمة الجزائرية 600 كلم، إلى جنوب الجزائر في شمال الصحراء الكبرى، في ناحية تسمى الشبكة، وهي منطقة جبلية تتخللها أودية، وقد آثر الميزابيون هذه المنطقة الجبلية الوعرة لمنعتها، وجودة هوائها، وبعدها عن الشمال. وكان الميزابيون إلى آخر القرن الثالث الهجري في شمال الجزائر، وفي نواح أخرى من المغرب الأدنى والأقصى. وقد لجأوا إلى الصحراء بعد سقوط الدولة الرستمية. وتتميز منطقة وادي ميزاب بالطابع الصحراوي على العموم. أما الأمطار فسقوطها قليل جدا، بحيث لا تتجاوز في أحسن الحالات 25 ملم في السنة. وهذه المنطقة يكثر فيها النخيل، والذي يعد العمود الفقري في اقتصاد المنطقة. لا سيما قديما. قبل أن تعرف المنطقة تطورات هامة في التجارة والصناعة والسياحة والبترول.

– انظر: محمد علي دبوز: نهظة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1385هـ/1965م، ج1، ص150.

– انظر: بكير بن سعيد أغوشت: قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1989م، ج1، ص150–151.

وربّما وجد فيها البصريّون والكوفيّون ومِن كلّ الفئات الإباضيّة التي تواجدت في المغرب، وكلّ ما يجمعها مصير واحد وهدف واحد.

وطبّق الإباضيّة في الجزائر نظام العزّابة، وشيخ العزّابة في الوادي هو الذي يعلن الاتّفاقات التي تصدر عن المجلس، وليس له أنْ يصدر أمراً إلى جميع سكّان الوادي دون الرّجوع إلى المجلس واتخاذ القرار فيه. ويربط بين هذه التجمّعات الإباضيّة في كلّ مِن جبل نفوسة جزيرة جربة ووادي ميزاب مجلس أعلى للعزّابة، وتكون له الكلمة النّافذة على جميع المجالس. وشيخ واحد يتولّى تنفيذ قرارات المجلس مع اختلاف بسيط في الاختصاصات[1]. وقامت للإباضيّة في الجزائر دولة تعاقب عليها ستة أئمّة متتابعين فاشتهرت باسم الدّولة الرّستميّة[2].

[1] – عبد الرحمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، مصدر سابق، ص58.

[2] – محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص60.

الفصل الثّالث: الشّيخ علي يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي

تمهيد

المبحث الأوّل: التّخلّي عن العصبيّة المذهبيّة.

المبحث الثّاني: فِكرة إحياء نظام العزّابة.

المبحث الثّالث: جهاده في مسجد الفتح بطرابلس.

المبحث الرّابع: فتح باب الاجتهاد.

تمهيد

كانت البدايات الأولى لعَمَل الشّيخ على يحيى معمّر في المجال الدّعوي مبكّرة، وكان ذلك قبل مجيئه إلى وطنه، بما كان يقوم به مع الطّلبة التّونسيّين في إقامته معهم أثناء عودته مِن الجزائر، مِن توجيه وإرشاد وإصلاح للنّفوس وتقويم للسّلوك.

وبلا شكّ فإنّه سيستفيد مِن هذه التّجربة المتواضعة وينطلق منها كقاعدة أوّليّة في إصلاح الأوضاع في بلده، فسعى إلى المساهمة في إصلاح الأجيال وتنشئة الشّباب التّنشئة القرآنيّة الأصيلة.

فتصدّر في بادئ الأمر مساجد نالوت كواعظ ومرشد ومعلّم ينشر الوعي الدّيني والتّفكير السّليم ومحاربة البدع والجهالة والأميّة والدّعوة إلى التّزوّد بالإيمان والعلم والمعرفة.

كما سعى إلى حلّ مشكلات إخوانه وفكّ النّزاعات والخصومات بينهم ,عملاً بواجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وفي هذا يقول الشّيخ سالم بن يعقوب عنه: "وكان إلى هذا يُلقي الدّروس والمواعظ بالمساجد وفي صفوف العامّة والطّلبة عملاً بواجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وسعياً وراء نشر الوعي الدّيني والأخلاقي حتّى تزول البِدع وتستقيم العقيدة الصّافية"[1].

لكن ممّا يبدو أنّ هذا الطّريق الذي عزم على سلوكه لم يجده محفوفاً بالورود، بل كانت الأشواك تعترضه وتقف في وجهه في كلّ خطوة يخطوها، خاصةً في المراحل الأولى مِن انطلاقته، حيث لاقى عنتاً وتعباً كبيرين مِن أبناء جلدته أنفسهم، فلم يتفهّموا دوره وأفكاره ومجهوداته الإصلاحيّة فواجه معارضة شديدة تمثّلتْ في الجفاء وقطع الطّريق أمام مشاريعه، فلم يجد مِن إخوانه يد المعونة والمؤازرة. ويبدو أنّ الجهل والتخلّف اللّذين كانا متفشّيَين بين الأهالي واللّامبالاة مِن الشباب بالعِلم والعلماء مِن الأسباب الأساسيّة لهذه المعارضة[2].

وقد كانت له جهوداً معتبرة في المجال الدّعوي، سار مِن خلالها على منهج قويم ساعده على إيصال فِكرته والدّفاع عنها، ويظهر في ذلك في السّطور الآتية:

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص73.

[2] – المصدر نفسه ص74.

المبحث الأول: التخلّي عن العصبية المذهبيّة

إن القارئ لكتابيْ الشيخ علي يحي معمّر التاريخين (الإباضية بين الفِرَق الإسلاميّة) و (الإباضية في موكب التّاريخ) يجد أنّه لا يخلو فصل مِن فصول كتابَيْه إلا ويدعو فيه المسلمين جميعاً إلى التّخَلِّي عن العصبيّة المذهبيّة والتحلِّي بالأخلاق الحسنة الحميدة والاستمساك بحبل الله المتين وسبيله القويم الذي لا يزيغ عنه إلا هالك.

إذا يقول الشيخ :"وأن تعلم أن النّقاش الذي جرَى علَى قلمي في شدّتِه ولِينِه وفي قسوتِه ورفقِه لا أريد به الدّعوة إلى المذهبيّة ولا الدفاع عن المذهبيّة وإنما أريد به تحطيم المذهبيّة"[1].

فيا له مِن تعبيرٍ رائعٍ فهو قد صَدَر كتابه (الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة) بهذه الكلمات التي تُريح النّفس وتُثْلِج الصّدر لما فيها مِن حقيقةٍ واضحةٍ جليّةٍ يعجز القلم عن تسطير بيانها.

والعصبيّة المذهبيّة كما هو معلوم هي الانتصار لمذهب معيّن والاعتقاد أنّه الوحيد على حقّ، وأنّ الذي يخالفه هو الباطل يجب محاربته والقضاء عليه واستئصاله.

وبناءاً على ذلك الاعتقاد كان مُعْتَنِقُو المذاهب يؤلّفون الكُتب الضّخمة والتّقارير الفخمة لتبليغ عقائدهم مُتّبعين في ذلك كلّ الوسائل الشرعيّة وغير الشرعيّة لبُلوغ مرامهم وإحداث بلبلة لم يشهد العالم الإسلاميّ مثلها في التّاريخ كما يحرصون على تصوير مُخالفيهم تصويراً تتقزّز منه الطبائع وتقشعرّ منه النّفوس حتى ينفر النّاس عن المذاهب الأخرى رغم أنّها تدين بدين الإسلام الحنيف الذي يدعو إلى الوِحدة وعدم الاختلاف[2].

---

[1] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص1.

[2] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص56.

إنّ دعوى المذهبية نشأتْ منذ وقت مبكّر فعملت علَى تقوية أواصر الانحلال والتشتّت وكانت سبباً في إراقة الدّماء واستحلالها بدون مُوجِبٍ شرعي يدعو إلى ذلك.

أو تهاونوا في ذلك واتّبعوا ﷺ فهل التزم المسلمون بما أَمَرَ به رسول الله شهواتهم وملذّاتهم فأحلّوا ما حرّم الله وحرّموا ما أحل الله؟

إنّ الإجابة عن هذا السؤال قد تبدو بسيطة عند البعض، لكنّ السّابح في أغواره يقف حيران يفكّر ويقلّب تفكيره فيما جرى وما يجري حتّى يجدَ جواباً كافياً شافياً لهذه المسألة.

والشّيخ علي يحيى معمّر هو واحد مِن أولئك الذين يُنادون بتحطيم المذهبيّة، لأنّه دَرَس التّاريخ ورأى ما وَصَل إليه المسلمون مِن تطاحن وحُروب وثورات لوّثتْ ﴿الحضارة الإسلاميّة وجَعَلَتْها تغرق فوق بعضها سحاب ظلمات بعض موجٌ مِن فوقه موج مِن فوقه موج يغشاه لجّي بحرٍ في[1].إذا حَاوَلْتَ أن تتناساه وجدْتَ مَن يُذكِّرك به ويُذكي نار الفتنة مِن جديد[2].﴾

إنّ كِتابَيْ الشيخ علي معمّر مليئان بالدّعوة إلى تحطيم المذهبيّة إذ يقول في مقدّمة كتابه(الإباضيّة في موكب التّاريخ) مُبيِّناً سبب إخراج الكتاب ومنهجه الدّعوي:

"إنّني أودّ أن يعلم القارئ الكريم أنّ الباعث على إخراج هذا الكتاب، وقصر البحث فيه على فِرقةٍ واحدةٍ مِن فِرَق الإسلام، والتّحدّث عن رجال وأماكن معيّنة.. أودّ أن يعرف القارئ الكريم أنّ الباعث على ذلك لا يرجع إلى عصبيّة مذهبيّة، تضيق بالتّفكير المنطلق في دين الله مِن سائر الفِرَق، ولا إلى جمود في حُبِّ وطن، ضيّق لا يتّسع لبلاد الإسلام، وإنّما يرجع إلى أنّني درسْتُ أصول هذه الفِرقَة، وعَرَفْتُ مِن تاريخها أكثر مِمّا دَرَسْتُ مِن غيرها وعرفتُ منه"[3].

كما أنّه بيّن سبب ظهور هذه العصبيّة المقيتة والمنْتِنة مستعيناً في ذلك بالتّسلسل التّاريخي لنشأة المذاهب وظهور مجتهدين على السّاحة كلّ منهم يدلي بدلوه في المسائل التّوفيقيّة. إذ يقول في مبحث تكوّن المذاهب الإسلاميّة مِن كتابه (الإباضيّة في موكب التّاريخ) ما يلي:

---

[1] – سورة النّور، الآية: 40

[2] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص57.

[3] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص19.

"أمّا المذاهب الدّينيّة فتتكوّن تكوُّناً تدريجيّاً هادئاً في أزمنة مُتطاولة، حسب تولّد الأفكار والآراء الجديدة في الحياة، وحسب وقوع الحوادث والأحداث، وعرضها على أصول الشّريعة الثّابتة ـ القرآن والسنّة والإجماع ـ لإعطائها حُكْماً شرعيّاً، سواء كانت هذه الأحداث متعلّقة بالعمل أو بالاعتقاد"[1].

ثمّ قال: "إنّ أولئك الأَعلام الذين تركوا في حياة الإسلام هذا الأثر العظيم، لم يكن في حسابهم إنّ أُمَماً سوف تُقلِّدهم، وتُقدّس آراءهم، وتنسب إليهم مذاهب، بعد بالمذهب الحق، والصراط القويم[2].ﷺأن جاء محمّد

فِعْلاً لقد اتّبع هؤلاء الأئمّة شراذم مِن النّاس ظنّتْ أنّ باب الاجتهاد قد أُقْفِل ومِن ثمّ لا يستطيع أيّ إنسان مهما بلغتْ درجة العِلم عنده أن يصل إلى مرتبتهم وعلوّ شأنهم فَسَرَى الجمود والتّقوقع وانتشر الجهل[3].

وفي هذا الصّدد يقول الشّيخ علي يحيى معمّر:

"وجاءت بعد هذه الطّبقة (طبقة تابعي التّابعين) طبقة أخرى سلكَتْ نفس هذا السّبيل وقد كانتْ تجد حوادث، وتحدث آراء في زمن كلّ طبقة مِن هذه الطّبقات فيدرسها المجتهدون، ويرجعونها إلى الأصول الثّابتة عند كلّ واحد منهم، ويطول الزّمن، وينتشر الجهل بالدّين، فتتكوّن طبقة مِن الفقهاء الجامدين الذين يُقدّسون آراء الأشخاص، ويتحكّمون في أعمال النّاس، فيدعونهم إلى إتّباع رأي معيّن، وتقليد إمام يرونه أعْلَم مِن غيره وأصوب حكماً. تكوّنتْ المذاهب وتعصّب لها الأتباع بدون فهم، وحاربوا غيرها في عنادٍ وإصرارٍ وبَلادَةٍ، وقلّدوا أولئك الأئمّة الذين وثقوا بهم، تقليد عصمة وتقديس، وانتسبوا إليهم انتساب فخر واعتداد"[4].

لقد كان الشّيخ علي يحيى معمّر وهو يعرض هذه المسألة محلِّلاً ومناقشاً مناقشة يغلب عليها الهدوء والرّصانة خاصّة وأنّها تزيّنتْ بأسلوب أدبي رشيق وشيّق[5].

---

[1] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص46.

[2] – المصدر نفسه، ص47.

[3] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص58.

[4] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص48.

[5] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص59.

وبعد أن اتّضح رأيه الذي ينادي بإسقاط هذه الألقاب المتداولة على الألسن هذا إباضي وهذا شافعي وهذا مالكي ... نشير إلى أنّه كان يُبارك تلك الأقلام التي تسعى إلى جمع شتات الأمّة الإسلاميّة بعد أن كانت أشلاء ممزّقة وفِرقاً متناثرة ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى﴾[1].

إذ يقول: ـ الشّيخ علي يحيى معمّر ـ "يسرّني أن أشير إلى تلك الأقلام المسلمة التي تستمدّ حياتها مِن روح الإسلام لتدفع عنه عدوان المعتدين، ودسائس المستعمرين، ومكر الصّهاينة والصّليبيّين المخدوعين، ولتدعو أبناء أمّة محمّد إلى الاستمساك بدين محمّد كما جاء به محمّد ﷺ".

"يسرّني أن أشير إلى حملة هذه الأقلام المباركة المكافحة، وإلى كُلِّ مَن يجري في هذا المضمار، مِن الذين يُحيون كلّ يومٍ سُنَّة، ويُميتون كُلَّ يوم بدعة، ويذودون عن الإسلام شبهات أعداء الإسلام"[2].

ومِن هذا المنطلق كانت الصّحوة الإسلاميّة التي بدأتْ شمسها تُشرق لتضيء الدّاعي إلى وِحدة المسلمين بعد أن ﷺالطّريق أمام السّالكين في منهج الرّسول الكريم صاروا شِيَعاً وأحزاباً مُمزّقين مُشتّتين.

ولا شكّ أنّ الشّيخ قد اجتهد باعتباره فرداً مِن أفراد الأمّة الإسلاميّة، أَوْجَد حلولاً نظريّة وتطبيقيّة تَحُدُّ مِن استفحال تلك العصبيّة المذهبيّة بل وتُبيدُها نهائيّاً، ويُصبِح الإسلام واحداً لا مذاهب فيه[3].

يقول الشّيخ علي يحيى معمّر مبيّناً منهجه الدّعوي أيضاً:

"وأنا على يقين ـ في نفسي ـ أنّ المذهبيّة في الأمّة الإسلاميّة لا تتحطّم بالقوّة، ولا تتحطّم بالحجّة، ولا تتحطّم بالقانون، فإنّ هذه الوسائل لا تزيدها إلاّ شدَّة في التعصّب وقوّة ردّ الفعل، وإنّما تتحطّم المذهبيّة بالمعرفة والتّعارف والاعتراف، فبالمعرفة يفهم كلُّ واحدٍ ما يتمسّك به الآخرون، ولماذا يتمسّكون به، وبالتّعارف يشتركون في السّلوك والأداء الجماعي للعبادات، وبالاعتراف يتقبّل كلُّ واحدٍ منهم

---

[1] – سورة الحشر ، الآية: 14.

[2] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص21.

[3] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص60.

مسلك الآخر برضاً ويُعطيه مثل الحقّ الذي يُعطيه لنفسه، وفي ظلّ الإخوّة والسّماح تغيب التّحدّيات وتجدُ القلوبُ نفسها تحاول أن تُصحِّح عقيدتها وعملَها بالأصل الثّابت في الكتاب والسّنّة، غير خائفةٍ أن يُقال عنها تركتْ مذهباً أو اعتنقتْ مذهباً"[1].

تستحقّ هذه الكلمات أن تُكتَب بماء الذّهب لأنّها تُعبِّر عن مدى حِرص الشّيخ باعتباره فرداً مِن أفراد الأمّة الإسلاميّة على التّخلّي عن المذهبيّة، ولعلّ هذه التّعابير تُبلوِر الفكر العميق وروح الإخاء والسَّماحة التي يملكها الشّيخ علي يحيى معمّر ومَن نحا نحوه.

فهو قد أدرك بإيمانه العميق أنّه لا سبيل لتوحيد الأمّة والقضاء على ذلك الدّاء إلا بالمعرفة والتّعارف والاعتراف، وهو حلٌّ منطقي لأنّه قد شَخَّص موضع الدّاء وأوجد له الدّواء المناسب.

فذهب إلى أنّ القوّة لا يمكن أن تكون مُضادّاً قويّاً لفيروس المذهبيّة لأنّها سوف تزيد الطّين بلّة والنّار تأجّجاً، فالقوّة هي السّبب في تدمير أواصر المحبّة بين المسلمين، وجَعَلَتْهم في دوّامة الحرب والقتل.

كما أكّد أنّ الحُجّة قاصرة على تحطيم المذهبيّة لأنّها قد تجعل علماء كلّ مذهب في جدالٍ كبير ينتهي في أغلب الأحيان بنتائج وخيمة وسلبيّة.

ويُبيِّن كذلك أنّ القانون مهما كان فحواه فإنّه لا يستطيع أن يُسيطر على الوضع ويجعل المسلمين جميعاً يدينون بدينٍ واحدٍ لا مذهبيّة فيه.

فالشّيخ علي يحيى معمّر يرى أنّ تحطيم المذهبيّة لا يكون إلاّ بالمعرفة والتّعارف والاعتراف.

---

[1] – علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص1-2.

– انظر: مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م، ج2، ص691.

وكم المسلمون اليوم في حاجة ماسّة إلى طمس الانسياق وراء المذهبيّة والحدّ منها، ويكفيهم تشتّتاً وتعفُّناً لأنّه ما أضرّ بهم إلاّ الانشقاق بعد الوِحدة، والذِّلّة بعد العِزّة والكرامة[1].

لهذا يرى الشّيخ أنّ المعرفة التي تتوفّر للمسلمين عن كلّ مذهب، والتّعارف الذي يتمّ بين مُعْتَنِقِي المذاهب، والاعتراف الذي يكون شعار كلّ فرد في كلّ مذهب، كلّ ذلك يُشعِر الجميع أنّهم يسيرون في خطّ واحد، ويهدفون إلى غاية واحدة.

فهذا المثلّث (المعرفة، الاعتراف، التّعارف) كفيل بتحطيم المذهبيّة المبنيّة على التّعصّب المقيت، والمؤسّسة على فِكرة انحصار الحقّ عند طائفة معيّنة وإنكار ما عند الآخرين، والرّامية إلى تشنيع بمن لا يقول بما تقول به فئة مِن المسلمين[2].

المبحث الثّاني: فكرة إحياء نظام العزّابة

ومِن جهوده أيضاً في الحقل الدّعوي، بل مِن المشاريع الهّامة التي سعى الشّيخ على يحيى معمّر لإحيائها وإعادة بعثها مِن جديد في بَلَدِه: نظام العزّابة[3].

هذا النّظام الذي كان يُشرف على تسيير المجتمع بجبل نفوسة، انقرض لِعدّة عوامل، وقد عمِل هذا النّظام على هيكلة المجتمع عَلَى شكل مؤسّسات تتعاون فيما بينها على السّير الحسن له وعلى توحيد كلمتِه، وفي نفس الوقت إشراك كلّ فعاليّاته في بِنائه وإصلاحه ابتداء مِن الأسرة إلى العائلة إلى العشيرة ثمّ إلى المسجد، في نسق تصاعدي هرمي، وبذلك يُسهّل تنظيم المجتمع وتسييره والتّحكّم فيه والمحافظة على قِيمه والدّفاع عنه مِمّا يمكن أن يلحقه مِن أخطار داخليّة أو خارجيّة.

---

[1] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص62.

[2] – محمّد ناصر بوحجّام: الشّيخ علي يحيى معمّر والدّعوة إلى وِحدة المسلمين، مصدر سابق، ص24–25.

[3] – نظام العزّابة، وحلقة العزّابة، وهيئة العزّابة، ومجلس العزّابة، كلها مصطلحات تستعمل في المراجع مترادفات، وهي في أصلها تمثّل مراحل تطوّر النّظام.

ونظام العزّابة: هيئة تقوم مقام إمامة الظّهور في مسلك الكتمان عند إباضيّة المغرب. وأوّل مَن أنشأ هذا النّظام هو أبو عبد الله محمّد بن بكر الفرسطائي سنة 409هـ/1018م،في وادي ريغ بالجنوب الجزائري (بلدة أَعْمَرْ قرب مدينة تقرت حاليّاً)، يتكوّن مجلس العزّابة غالباً مِن اثنيْ عشر عضواَ، اندثر هذا النّظام في كلّ مِن جبل نفوسة بليبيا وجربة بتونس وغيرها مِن بلاد المغرب، ولكنّه لا يزال قائماً في وادي ميزاب ووارجلان بالجزائر إلى يومنا هذا، مع تطوّر في الشّروط والمهام والعدد.

– مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، مصدر سابق، ج2، ص702–703.

لذلك سعى الشّيخ مع غيره مِن الإخوان لاستحداثه، وذلك على غرار ما رآه وعايشه في وادي ميزاب، لكن يبدو أنّ عدم التّجاوب والموقف السّلبي المُعارض مِن بعض الأهالي جعله يفشل في هذه المهمّة النّبيلة، التي لا يكفي لتحقيقها فرد أو جماعة لوحدها، إذا لم تتضافر الجهود ويقف الجميع على صعيدٍ واحد مؤمنين بالفكرة وباذلين قصارى جهودهم وإمكاناتهم، في سبيل هيكلة المجتمع وإرساء مؤسّساته وفِقه نظامه وتخطيطه[1].

المبحث الثّالث: جهاده في مسجد الفتح بطرابلس

أمام هذه الوضعيّة التي قوبل بها الشّيخ علي يحيى معمّر مِن قومه، فإنّه لم يستسلم لأمر الواقع ولم يفقد الأمل في الإصلاح ولم يُعلِن فشله واستسلامه، بل ضلّ يواصل مسيرته رغم كلّ العقبات، صابراً ومحتسباً ومُستعملاً المرحليّة والتّأنّي، حتّى بدأ الإخوان مع مرور الوقت يتفهّمون أفكاره ويُباركون أعماله وأصبحوا يلتفّون مِن حولِه مؤيّدين ومؤازرين له في دعوته ونشاطه، خاصّةً عندما انتقل بعمَلِه إلى العاصمة طرابلس، يذكر الشّيخ ناصر مرموري الذي زاره سنة 1962م أنّ الشّيخ قد كوّن حوله هالة مِن الإخوان والطّلبة مِن مختلف قُرَى ومُدُن جبل نفوسة: كنالوت، وكباو، وتمزين، وزوارة، ويَفْرِنْ، وجادو، جمَعَتْهم أنشطة علميّة ولقاءات أخويّة وحِصص توجيهيّة متنوّعة، وأنّ أنشطتهم كانتْ في بادئ الأمر في منازلهم وفي بعض الدّور التي خصّصوها لذلك، إلى أن تُوِّج ذلك بتأسيس مسجد الفتح بالعاصمة طرابلس فكان مقرّاً جامعاً لأنشطتهم واجتماعاتهم، وكان ذلك ابتداء مِن سنة 1975م[2].

فقد كان إلى جانب هذا المسجد مدرسة ابتدائيّة حرّة تُعنَى بتحفيظ القرآن الكريم وتدريس أساسيّات العلوم الشّرعيّة، مِن الفرائض والعبادات والمعاملات،وكذا مكتبة تُشرِف إدارة مسجد الفتح عليها، ويقصدها عشرات التّلاميذ مِن الأحياء المجاورة.

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص74-75.

[2] – المصدر نفسه، ص75.

فكان للشّيخ عليّ فيها الدّور الأساسي فهو المحرّك الأوّل ومِحول النّشاط، وهو المرشد والموجّه والمرجع في المسائل الشّرعيّة وفي القضايا الاجتماعيّة وفي إدارة شؤون التّدريس، وذلك لخبرته واطلاعه في هذه المجالات، وبمرور الزّمن استطاع أن يُكوِّن مِن إخوانِه ثلّة مباركة مِن مختلف قرى جبل نفوسة مثل تمزين، ونالوت، وكباو، وغريان، وجادو وغيرها[1].

تمثّلتْ أنشطتهم في مجالس القرآن وفي الجلسات اللّيليّة العلميّة التّنويريّة وفي دروس الوعظ والإرشاد وفي المناقشات الفقهيّة وفي إحياء ليالي رمضان بالقيام وبالذّكر وبمدارسة وحفظ القرآن، كما يروي الشّيخ ناصر مرموري ما عايشه معهم: " صادف في مرّةٍ مِن المرّات أنْ مكثْتُ هناك في طرابلس أربعة عشر يوماً في شهر رمضان، كان يُعطي للعبادة حقّها ولقيام اللّيل، كانت معه جماعة مِن إخواننا مؤن تمزين، ونالوت، وكباو، وجماعة تمزين كانوا الأغلبيّة، لهم جلسات ليليّة لختم القرآن ومدارسته، مع مناقشات فقهيّة ومواعظ، وفي ليلة العاشر والسّابع والعشرين مِن رمضان يُقيمون اللّيل مِن أوّله إلى الفجر، أحياناً بقراءة القرآن بطريقة فرديّة وأحياناً بالذّكر وأحياناً بالمحاورات العلميّة ... وهو محور الإخوان الخُلَّص الموجودين في طرابلس ... كان الشّيخ عليّ يحيى معمّر محلّ الثّقة وهو المرشد الحقيقي لاطلاعه في الشّرعيات والاجتماعيّات"[2].

كما كان منزله الكائن بمنطقة غوت الشّعّال بضواحي طرابلس ومنزل بعض إخوانه مسرحاً لهذه اللّقاءات العِلميّة مع إخوانه الطّلبة والمدرّسين يحاوِل أن يُكوِّنهم ويرفع مِن مستواهم في المجال الشّرعي والاجتماعي، وبذلك يصنع منهم الخلف والسّند الذي يعتمد عليه في تحمّل المسؤوليّة ومواصلة درب الإصلاح.

إنّ هذه المكانة العِلميّة للشّيخ عليّ يحيى معمّر جعَلَتْه مُمثِّلاً لإباضيّة ليبيا، حيث كان يتولّى بنفسه الإشراف على البعثات العِلميّة الليبيّة إلى معهد الحياة ، وكانت إدارة المعهد ومشايخه لا يستقبلون أي طالب ليبي إلا إذا كان مصحوبا بموافقة مِن الشّيخ عليّ يحيى معمّر.

---

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص76.

[2] – المصدر نفسه، ص76.

كما كان يتولّى استقبال الشّخصيات والوفود الإباضيّة التي تقدم لزيارة ليبيا، ويرافقها في كامل أيّام إقامتها يعقد معها اللّقاءات العلميّة ويناقش معها المشاكل والقضايا التي تعترضه ويطلب منها المشورة والرّأي في المشاريع التي ينوي تحقيقها.

فقد حصل هذا مع الشّيخ بيّوض عندما زار ليبيا عن طريق تونس في السّتّينات حيث وجد في استقباله في الحدود التّونسيّة الليبيّة الشّيخ علي يحيى معمّر، ونفس الشّيء كان مع الشّيخ ناصر مرموري في زياراته لليبيا حيث يقول: "في ليبيا حين أزورها كان أوّل مَن يستقبلني وآخر مَن يودّعني"[1].

لعلّ هذه المكانة التي حضي بها في قومه لتدلّ بوضوح على تلك المرتبة العِلميّة التي بلغها ويُعتَبَر كذلك اعترافاً منهم بجهاده الاجتماعي المتواصل لإصلاح شؤونهم وبالفضل والجميل الذي قدّمه لبلده.

فهذه هي الجهود الدّعويّة والمنهج الدّعوي الذي كان يسير عليه الشّيخ عليّ يحي معمّر للدعوة إلى الإباضيّة، وتعريف النّاس بهذا المذهب.

المبحث الرّابع: فتح باب الاجتهاد

إنّ الأحداث المُستجَدَّة على السّاحة في أيّ عصر مِن العصور تحتاج إلى أحكام شرعيّة حتّى تأخذ صِبْغَتَها الدّينيّة، ولا يمكن أن يتحقّق هذا الأمر إلاّ بالاجتهاد وربط الأحكام بالأدلّة

فإذا كانت الواقعة فيها نصّ مِن كتاب أو سنّة أو إجماع فلا مجال حينئذٍ للاجتهاد، لأنّ الحُكْم الشّرعي موجود ومِن ثمّ لا يجوز أن يستعمل المجتهد عقله لاستنباطه.

وأمّا إذا كانت الواقعة لا تحمل حُكْماً شرعيّاً مِن الأدلّة المتعارف عليها فإنّ المجتهد مِن الأمّة الإسلاميّة يجب عليه إيجاد الحُكْم المناسب لها بعد استفراغ الجهد وبذل المجهود.

[1] – قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، مصدر سابق، ص77.

وعلى ذلك يكون الاجتهاد ضرورةً تقتضيها الحياة العصريّة التي كثرتْ فيها المفاجآت حتى أصبح الإنسان في غير مأمن مِن مباغتات الزّمن وأطواره الغامضة فلربّما يحمل في طيّاته أموراً لم تخطر على بال البشر.

ومِن هذا المنطلق يجب على المجتهد أن ينهض بأعباء الأمّة ويكون مضطلعاً بما يجري أمامه ووراءه حتّى يكون الحُكْم الذي يأتي به موافقاً لِما يُرضي الله ﷻ[1].

وبناءاً على ذلك فقد تناول شيخنا هذه المسالة بعقل نيّر مُتفتِّح يَنْم عن محاولته لتوضيح الرُّؤية الواقعيّة المستقبليّة في الفِكر الإباضي الذي كان ولا يزال يُعبِّر عن مكنوناته التي تشع على طوائف العالم الإسلامي في العصر الحاضر.

كما بيّن الآثار السلبيّة التي تعود على الأمّة جراء إغلاق باب الاجتهاد وتحجير مَلَكة التفكير عند العلماء فيقول:

"ذهب كثير مِن الفِرق الإسلاميّة إلى غلق باب الاجتهاد بعد عصور معيّنة، حاسبين أنّه لن يأتي ناس في مستوى المجتهدين السّابقين ، وأنّه لم يبق في الدّين ميدان ينفسح للاجتهاد"[2].

"وحينما حجر هؤلاء الجامدون على عقول المسلمين وأفهامهم أن تنطلق وتُحلِّق في الميادين الفساح التي فتحها الكتاب الكريم بدعوة المؤمنين إلى الانطلاق والتّحرّر والتّفكير، حين فعلوا ذلك وأوقفوا تيّار التفكير، جمّدوا الإسلام مِن جهة أخرى على نظرات وبيئات وأزمنة خاصةّ ".

"وقد عرف الإباضيّة منذ أوّل وهلة أنّ هذه الفكرة الجامدة لا تتماشى مع روح الإسلام الذي يصلح لكلّ زمان ومكان، فإنّ الإسلام بعد أن رسم الحدود التي لا ينبغي تخطّيها أراد مِن المسلمين أن ينطلقوا بمواهبهم وأفكارهم، وعلومهم وأفهامهم في ميادين الحياة، يُروّدون المجاهيل ويفتتحون المغالق، ويُنيرون السّبيل أمام أفواج البشريّة في جميع الأعصار والأمصار، فلم يحجر على أواخر الأمّة ما أباحه لأوائلها، والمسلمون في جميع العصور لا يتفاضلون إلا بالتقوى والإيمان والعمل الصّالح، والكفاح المتواصل في سبيل الله، باستثناء شرف الصّحبة لأولئك النّفر الذين

---

[1] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص75.

[2] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص61.

، والدّفعة الأولى التي تحمل مشعل الهداية ﷺاختارهم الله أن يكونوا أصحاب محمّد لخير البشريّة الضّالّة"[1].

وليس هناك أخطر مِن الجمود والتّقوقع لأنّهما يحدّان مِن نشاط الفكر الإسلامي ويجعلانه في سجن، أبوابه مُحْكَمة لا ينفذ إليه النّور مِن أيّ مكان، ومِن ثمّ يرضخ المسلمون لأحكام أعدائهم الذين يسايرون الواقع ويتطوّرون بتطوّره فتحدث النّكبة والنّكسة التي لا قيام بعدها أبداً [2].

ويُضيف الشيخ علي يحيى معمّر في الصدد قائلاً:

"إنّ حاجة المسلمين إلى المجتهدين في العصور المتأخّرة، وإلى أبحاثهم في هذه المشاكل الكثيرة، التي تَعْرضها الحضارات المختلفة على الأمّة، أشدّ مِن حاجتها إليهم في الأزمنة السّابقة، ووصول العاملين مِن هذه الأمّة إلى الاجتهاد أيسر في هذه العصور لسهولة المواصلات، وإمكان اتّصال العلماء، وحصولهم على جميع المصادر التي تساعدهم على أبحاثهم ومناقشتهم"[3].

"ولمّا كان الإباضيّة يعتقدون أنّ ما فتحه الله لأوائل هذه الأمّة لا ينغلق عن مفتوحاً على مصراعيه، لا يمكن أن ﷺآخرها، وأنّ باب الاجتهاد الذي تركه محمّد يُغلقه فقيه مغلق الفهم، ولذلك فقد ناقشوا قضيّة الاجتهاد والمستوى العِلمي الذي يؤهّل صاحبه للقيام بهذا العبء. وهل يصحّ الاختصاص فيه لِمَن استكمل شرائط الاجتهاد في قِسم دون قِسم؟ لئلاّ تتوقّف الملَكات والمواهب في ميدان مِن ميادين العِلم والحياة، مِن أجل ميدان آخر تعمل فيه ملَكات وعقول أُخرى"[4].

لقد عاب الشيخ علي يحيى معمّر على أولئك القوم الذين قَصَرُوا الاجتهاد على فئة معيّنة، وبيّن أنّ الإباضيّة يملكون الرّأي الصّائب منذ العهود الأولى حيث فتحوا باب الاجتهاد على مِصراعَيْه لِمن توفّرت فيه الشّروط.

---

[1] – المصدر نفسه، ص61.

[2] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص77.

[3] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص61.

[4] – المصدر نفسه، ص62.

وبيّن أنّهم لا يُقدّسون الأشخاص ولا يجعلونهم في موقعٍ لا يصل إليه أحد، فهذا الاعتقاد باطل عندهم ولا يتماشى مع روح الإسلام الذي دعا في كثير مِن الآيات لاستنباط الأحكام ﷺإلى التّدبّر والتّفكير والتّعقّل في كتابه العزيز وسنّة نبيّه محمّد الشّرعيّة منها وتطبيقها على الأحداث والوقائع الجديدة التي تطرأ على المجتمع الإسلامي.

والعالِم الإباضي المجتهد كغيره مِن المجتهدين سلك المنهج الإسلامي المعروف عند إنشاء حُكْم شرْعي لواقعة معيّنة، ويتمثّل في اعتماده أوّلاً على الكتاب، فإن لم يجد انتقل إلى السّنّة النّبويّة الشّريفة، فإذا لم يحصل على نصّ انتقل إلى الإجماع وإلاّ اجتهد في المسألة وبَنَى حُكْمَها على ما تَوَصَّلَ إليه فِكْره حتّى لا تتراكم المشاكل وتزدحم المسائل، فيصعب حينئذٍ إبداء الرّأي فيها، إذ لو لم يكن الاجتهاد فرضاً فَمَن الذي يأتينا بالحُكْم الشّرعي في مسألةٍ ما يسمّى الآن (بالهاتف النّقال) أو (شبكة الانترنيت)، أو مسألة (إيداع نطفة الرّجل في رَحِم المرأة) أو (زرع الكلى) أو غيرها مِن المسائل الكثيرة التي تحتاج إلى نظر وتأمّل كبيريْن حتّى يستطيع المجتهد أن يتوصّل إلى الجواب[1].

وقد دافع أكثر العلماء في العصر الحديث عن فِكْرة فتح باب الاجتهاد وعدم التّقيّد بما ذكره الأوائل فهم جدّوا واجتهدوا، وعلينا أيضاً أن نجدّ ونجتهد، وقد صرّح بذلك الشّيخ علي يحيى معمّر قائلاً:

"وإنّه لمّا يبعث على انشراح قلوب المؤمنين أنْ أَدْرَكَ أكثر علماء المسلمين في هذا العصر صواب هذه النّظرة عند الإباضيّة، فانتفضوا يقطعون هذه السّلاسل التي كبّلتْ فِرَقاً مِن المسلمين عصوراً طويلة، ويكسرون هذه الأبواب التي أُغْلِقتْ دون الانطلاق في سماء التّفكير والاجتهاد.

[1] – فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، مصدر السابق، ص82.

ويقتحمون هذا الميدان المحجور الذي خصّصته النّظرة الجامدة متحفاً للموتى، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ ويُبيحون للمسلمين ما أباحه الله لهم، بل وندبهم إلى السّباق فيه[1] فقال: [2]. ﴿فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

وعلى هذا يظلّ الاجتهاد ضرورة في كلّ عصر من العصور حتّى يبقى الإبداع قائما والحركيّة دائبة للوصول إلى الحقيقة وهذا طبعاً يختلف مِن مُجتهد إلى آخر لاختلاف مدارك عقولهم وأفهامهم، فقد يكون هذا الحُكْم صائباً عند مجتهد ويراه الآخر خطأً وهكذا ...

[1] – علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مصدر سابق، ص63.

[2] – سورة التّوبة، الآية: 122.

الخاتمة

لقد خَلُصْتُ في بحثي هذا إلى نتائج يُمكِن إجمالها في النّقاط الآتية:

ـ كان الشّيخ علي يحيى معمّر نشيطاً في الحقل الدّيني والأدبي والاجتماعي، شارك في جميع مجالات النّشاط في معهد الحياة: مِن دروس وجمعيّات أدبيّة وفِرَق فنّيّة ورياضيّة ومسرحيّة، وذلك لمّا كان طالباً، وكان ناشطاً في إلقاء الدّروس والمواعظ في المساجد، وفي صفوف العّامّة والطّلبة، عملاً بواجب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

ـ أَثْرَى الشّيخ علي يحيى معمّر المكتبة الإسلاميّة بمؤلّفات عديدة، وتمتاز هذه المؤلّفات باللّغة البسيطة والأسلوب الممتع، كما عُرِف عنه التّواضع للعمل، والاحترام للعلماء، والتّقدير للآراء المعروضة، لأنّها تُمثّل قبل كلّ اعتبار وُجْهات نظر مجتهدين، قد يُصيبون، وقد يُخطئون.

ـ الإباضيّة إحدى المذاهب الإسلاميّة العريقة وإنْ لم تنَلْ شُهرة باقي المذاهب. ويُنسب المذهب الإباضي إلى التّابعي عبد الله بن إباض فيُقال لهم: الإباضيّون، كما يُنسب أتباع المذهب المالكي إلى مالك ويُقال لهم: المالكيّون، غير أنّ الإمام الفِعلي للإباضيّة هو التّابعيّ الكبير والمحدّث المعروف جابر بن زيد الأزدي البصري العُماني.

ـ إنّ حاجة المُسلمين إلى التّقارب والتّفاهم، هي اليوم أكثر إلحاحاً مِن أيّ وقتٍ مضى، بعد المآسي التي تعرّضوا لها في العصور السّابقة التي اتّسمت بالجهل والتعصّب والتّسلّط والقهر والاضطهاد، مِمّا نتج عنه مجتمع إسلامي مُمزّق الأواصر، مُشتّت الأفكار.

ـ يرى الشّيخ علي يحيى معمّر أنّ المعرفة التي تتوفّر للمسلمين عن كلّ مذهب، والتّعارف الذي يتمّ بين مُعتنقي المذاهب، والاعتراف الذي يكون شعار كلّ فرد في كلّ مذهب، كلّ ذلك يُشْعِر الجميع أنّهم يسيرون في خطٍّ واحد، ويهدفون إلى غايةٍ واحدة، وهي خدمة الإسلام.

ـ كان الشّيخ علي يحيى معمّر يُناقش هذه القضايا بهدوء المؤمن الذي يسعى إلى إظهار الحقيقة، رغبةً منه في توحيد صفِّ المسلمين.

ـ كشفتْ كتابات الشّيخ علي يحيى معمّر عن الأخطاء التّاريخيّة التي ارتُكِبتْ في حقّ المذهب الإباضي، وبيّن كيف تبرعمَتْ تلك الأخطاء وأسهمتْ في توسيع شقّة الخلاف بين المُسلمين.

ـ إنّ كلّ مَن قرأ كتابات الشّيخ علي يحيى معمّر يتبّن له جليّا أنّ له جهوداً معتبرة لا يُستهان بها الدّعوة إلى الإباضيّة، وأنّه قد اتّبع منهجاً سليماً استطاع مِن خلاله أن يضيف ولو شيئاً يسيراً في فكّ فجوة الخلاف والتّقريب بين المسلمين.

ـ هي جوانبٌ مُهِمّة أَرَادَ الباحثُ إلقاء الأضواء عليها مِن خلال هذه الدِّراسة القصيرة والمُتواضعة، فإن أصابَ فبِتوفيق مِن الله تعالى وإنْ أَخْطَأَ فمِن نفسِه والشّيطان، والله ﷻ مِن وراء القصد. وهو وَحْده الهادي إلى سواء السّبيل... وصَلِّي اللّهم وسلّم علَى نبِيِّك محمّد وعلَى آلِه وأصحابِه وسلّم، والحمد لله ربّ العالمين.

فهارس البحث

فهرس الآيات القرآنيّة۞

۞ فهرس الأحاديث النّبوية

فهرس الأعلام۞

فهرس المصطلحات ۞

فهرس الأماكن والبلدان۞

فهرس المصادر والمراجع۞

فهرس الموضوعات۞

فهرس الآيات القرآنيّة

الآيـــــة	رقمها	السورة	الصّفحة
﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةٌ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً ﴾	29-30	النّساء	50
﴿ ذَالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	102	الأنعام	49
﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾	103	الأنعام	48
﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	39	التّوبة	51
﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾	122	التّوبة	72
﴿ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	16	الرّعد	49
﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾	21	الحجر	54
﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	125	النّحل	13

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾	124	طه	52
﴿ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾	40	النّور	62
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾	02	الفرقان	50
﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾	17	العنكبوت	48
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	62	الزّمر	49
﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	62	غافر	49
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	53	فُصِّلت	41
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	11	الشّورى	45
﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	03	الزّخرف	50
﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾	13	النّجم	47
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	49	القمر	50
﴿ تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى ﴾	14	الحشر	64

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾	19	الحاقّة	53
﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾	23	التّكوير	47

فهرس الأحاديث النّبويّة

الحديـــــــــــــث	الصّفحة
"أمّا في ثلاثة مواطن ..... وعند الصّراط إذا وُضعَ بيْن ظَهْرَيْ جهنّمَ"	53
"إنَّ أَحَدَكُم إذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدَهُ.... حَتّى يَبْعَثَكَ الله يَوْمَ القيَامَة"	52
"سبحان الله وأنّى أراه"	47
الفريّة"ﷻ رأى ربّه فقد أعظم على الله ﷺ"مَن زعم أنّ محمداً	47
"يُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَان بكَبيرَة..... فَقَد كَانَ يَمْشي بَيْنَ النَّاس بالنَّميمَة"	52

فهرس الأَعلام

العَلَـــــــــــــــــــم	الصّفحة
إبراهيم بيّوض	11
أبو عُبَيْدَة مسلم بن أبي كريمة	38
أمّ سحنون اللالوتيّة	4
بَكار بن محَمَّد الفزّاني	41
جابر بن زيد الأزدي العُماني	35
الربيع بن حبيب	38
رمضان بن يحيى اللّيني الجربي	7
زينب اللالوتيّة	4
عبد الله بن إباض	32
علي يحيى معمّر	2
عيسى بن يحيى الباروني الكباوي	6
محمّد بن صالح الثّميني	9
محمد بن يوسف اطفيّش	43

فهرس المُصطلحات

المُصطلـــــح	الصّفحة
إباضيّة	28
أهل الاستقامة	28
أهل الدّعوة	28
الدّولة الرّستميّة	58
القَعَدة	28
قَفَّاف	39
نظام العزّابة	58-66

فهرس الأَماكن والبُلدان

المَكَان	الصّفحة
آجيم	8
تكويت	2
تونس	8-56
جبل نفوسة	56
جربة	8
الجزائر	11-57
زنجبار	55
عُمان	55
القرارة	11
ليبيا	5-56
نالُوت	2
وادي ميزاب	11

فهرس المصادر والمراجع

أوّلاً : القرآن الكريم

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

ثانياً: الكُتب

2-إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مَجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف بمصر، ط 2، 1392هـ / 1972م.

3- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1965م.

4-أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري،: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، تحقيق: 5- نعيم زرزور، المكتبة العصريّة، ط1، 1426هـ / 2005م.

6- أبو الحسن علي بن محمد البسياني: مختصر البسيوي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، د ط، 1397هـ.

7- أبو الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضيّة، مكتبة الاستقامة، عمان، مسقط، ط2، د ت.

8- أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت928هـ/1522م): كتاب السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ط، 1884م.

9- أبو العباس أحمد بن سعيد، الشماخي: كتاب السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ط، 1884م.

10- أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (ت حوالي 810م): دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضيّة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وأحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

11- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت852هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النّظاميّة، الهند، ط1، 1326هـ.

12- أبو زكريا الجناوي: كتاب الوضع، مطبعة الإستقامة، سلطنة عمان، د ط، د ت.

13- أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي: قناطر الخيرات، تحقيق: عمر بن خليفة النامي، القاهرة، ط1، 1965م.

14- أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي: قناطر الخيرات، تحقيق: عمر بن خليفة النامي، القاهرة، ط1، 1965م.

15- أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 2006م.

16- أحمد بن حمد الخليلي: الحق الدامغ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د ط، د ت.

17- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، جدّة، السعودية، 1996م.

18- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ / 2004م.

19- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ): العقد الفريد دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط3، 1407هـ/1987م.

20- بكير بن سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، د ط، د ت.

21- بكير بن سعيد أعوشت: الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديماً وحديثاً، المطبعة العربية، نهج طالب أحمد، غرداية، د ط، 1415هـ/1995م.

22- بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1402هـ/1982م.

23- بكير بن سعيد أغوشت: قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1989م.

24- جمعيّة التراث، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مِن القرن الأوّل الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري، قسم المغرب، نشر جمعيّة التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، دون طبعة، 1420هـ/1999م.

25- جميل بن خميس السعدي: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان،د ط، 1404هـ/1984م.

26- خميس بن سعيد الشقصي الرستافي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، مكتبة مسقط، مسقط عمان، ط1، 1427هـ/2006م.

27- خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي الرستافي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: 28- سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، مكتبة مسقط، مسقط عمان، ط 1، 1427هـ/2006م.

28-خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، 1980م.

29- الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، ضبطه وخرّج أحاديثه: محمد إدريس، وراجعه وقدم له: عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، د ط، د ت.

30- سالم بن حمود السيّابي: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، د ط، 1979م.

31- سالم بن حميد الحارثي: العقود الفضّية في أصول الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، د ط، د ت، ص.

32- السيد عبد الحافظ عبد ربه: الإباضيّة مذهب وسلوك، القاهرة، ط 2، 1987م.

33- سيدة إسماعيل كاشف: عُمان في فجر الإسلام، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ط3، 1989م.

34- عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993م.

35- عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج الإباضيّة الشيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2005م.

36- عبد الرّحمان عثمان حجازي: تطوّر الفكر التّربوي الإباضي في الشّمال الإفريقي، من القرن الأوّل حتّى القرن العاشر هجري (95هـ/713م) – (928هـ/1520م)، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

37- عبد القادر البحراوي: عقيدة الإباضيّة في ميزان أهل السنّة، مكتبة النور، ط1، 1408هـ.

38- عبد الله بن حميد السالمي: بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ط2، 1411هـ/1991م.

39- عبد الله بن حميد السالمي: كتاب تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، المطبعة العصرية، الكويت، دط، 1970م.

40- عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ.

41- عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش (1236-1332هـ/1818-1914م)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط2 ، 1411هـ/1991م.

42- علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفِرق الإسلاميّة، الرّؤى والمرجعيّات، مطبعة تونس، قرطاج، تونس، ط1، 1436هـ/2015م.

43- علي يحيى معمّر: الإباضيّة بين الفِرق الإسلاميّة عند كُتَّاب المقالات في القديم والحديث، مراجعة: 44- بكير بن محمّد الشيخ بالحاج، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر،طبع المطبعة العربيّة، غرداية، ط3، 1423هـ/2003م.

45- علي يحيى معمَّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابزبز، مكتبة الضامري للنّشر والتّوزيع، السّيّب، سلطنة عمان، ط3، 1429هـ/2008م.

46- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.

47- عوض محمد خليفات: الأصول التّاريخية للفِرْقة الإباضّية، مؤسّسة الشيخ النّاصر للكتاب، غرداية، الجزائر، د ط، 1437هـ/2015م .

48- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، د ط، 1978م.

49- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، د ط، 1978م.

50- فوزي بن يونس بن حديد: الشّيخ عليّ يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي، دون دار، ط1، 1424هـ/2003م.

51- قاسم بن أحمد الشّيخ بالحاج: الشّيخ علي يحيى معمّر أضواء على شخصيّته وفكره، تقديم: محمّد بلقاسم ناصر بوحجّام، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر، طبع المطبعة العربيّة، نهج طالبي أحمد، غرداية، ط1، 1424هـ/2003م.

52- مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، سلطنة عمان، 1429هـ/2008م.

53- محمد بن إسماعيل البخاري: التّاريخ الكبير، حيدر آباد، د ط، 1382هـ.

54- محمد بن عمرو بن أبو ستة: حاشية الترتيب على الجامع الصحيح، ترتيب الشيخ أبي يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني لمسند الحافظ الثقة الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، (ت حوالي 175هـ)، تحقيق: ابراهيم محمد طلاي، د د، د ط، د ت.

55- محمد بن يوسف اطفيّش: (1238- 1332هـ/1821-1914م): شرح عقيدة التوحيد، تحقيق: مصطفى بن الناصر وينتن، المطبعة العربية، غرداية، ط1، 1422هـ/2001م.

56- محمد بن يوسف اطفيّش: الذهب الخالص المنوّه بالعلم الخالص، المطبعة العالمية، سلطنة عُمان، د ط، د ت.

57- محمّد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2011م.

58- محمّد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، تقديم: الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دار ناصر للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط5، 1434هـ/2013م.

59- محمّد عليّ دبّوز: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبي وشركائه، ط1، 1382هـ/1963م.

60- محمد علي دبوز: نهظة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، الجزائر، 1385هـ/1965م.

61- محمد ناصر بوحجّام: الشيخ عليّ يحيى معمّر والدّعوة إلى وِحدة المسلمين، المطبعة العربيّة، نهج طالبي أحمد، غرداية، دون طبعة، 1994م.

62- مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، تقديم: وينتن مصطفى بن النّاصر، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب، سلطنة عُمان، د ط، 2013م.

63- مصطفى وينتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش العقدية (1238 ـ 1332هـ/1821 ـ 1914م)، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، د ط، 1996م.

64- المُنجِد الأبجدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 8، 1986م.

65- نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة الاستقامة، مسقط، عمان، ط3، 1418هـ/1998م.

ثالثاً: الرّسائل الجامعيّة

66- أورهان آتش،: الإباضيّة مِن مصادرها، بحث في النّشأة والمفاهيم، والعلاقات، والواقع اليوم، تقديم: محمد بابا عمي، المناهج، مؤسّسة علمية تُعنَى بالتكوين والبحث العلمي، ط1، 1435هـ/2014م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المذاهب، تمّت المناقشة بتاريخ: 25 ديسمبر 2007، جامعة أولوداغ، العلوم الإسلاميّة الأساسيّة، فرع: تاريخ المذاهب بورصا، تركيا.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	الصّفحة
الإهداء	أ
الشكر والتّقدير	ب
المقدّمة	د
الفصل الأوّل: الفصل الأول: ترجمة الشيخ عليّ يحيى معمّر	1
المبحث الأوّل: مولده ونشأته	2
المبحث الثاني: زواجه وأسرته	5
المبحث الثالث: حياته العلميّة	5
المطلب الأوّل: في ليبيا	5
المطلب الثّاني: في تونس	8
أوّلا: في جزيرة جربة	8
ثانياً: في جامع الزّيتونة	9
المطلب الثّالث: في الجزائر	11

المبحث الرّابع: نشاطاته ومؤلّفاته	13
المطلب الأوّل: نشاطاته	14
المطلب الثّاني: مؤلّفاته	15
أوّلا: الكتب	15
ثانياً: الرّسائل	20
ثالثا: البحوث	21
رابعاً: المقالات	22
خامساً: التّعاليق	24
سادسا: المسرحيّات	25
سابعاً: القصائد	25
المبحث الخامس: وفاته	26
الفصل الثّاني: التّعريف بالإباضيّة	27
المبحث الأوّل: نشأة الإباضيّة	28
المبحث الثّاني: نسبة الإباضيّة وتأسيسها	32
المطلب الأوّل: عبد الله بن إباض الزّعيم السّياسي	32
المطلب الثّاني: جابر بن زيد الأزدي العالِم المؤسِّس	35

المطلب الثّالث: أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة المخطِّط المحنَّك	38
المبحث الثّالث: أَهَمّ الآراء العقديّة عند الإباضيّة	41
أوّلاً: التَّوحيد	41
التّوحيد لغةً	42
التّوحيد اصطلاحاً	42
و صفاته ﷻ ثانياً: أسماء الله	44
الصّفة لغةً	44
الصّفة اصطلاحاً	44
1 ـ الصّفات الذّاتيّة	45
2 ـ الصّفات الفعليّة	45
ثالثاً: الاستواء والعلوّ	46
ﷻ رابعاً: مسألة رؤية الله	47
خامساً: مسألة خَلق القرآن	48
الخَلق لغةً	48
سادساً: حُكْم مُرتكب الكبيرة	50
سابعاً: عذاب القبر	51
ثامناً: الصّراط	53

تاسعاً: مسألة القضاء والقدر	54
عاشراً: الإمامة	54
المبحث الرّابع: أماكن تواجد الإباضيّة	55
المطلب الأوّل: عُمان	55
المطلب الثّاني: زنجبار	55
المطلب الثّالث: ليبيا	56
المطلب الرّابع: تونس	56
المطلب الخامس: الجزائر	57
الفصل الثالث: الشيخ علي يحيى معمّر ومنهجه الدّعوي	59
تمهيد	60
المبحث الأول: التخلّي عن العصبية المذهبيّة	61
المبحث الثّاني: فكرة إنشاء نظام العزّابة	66
المبحث الثّالث: جهاده في مسجد الفتح بطرابلس	67
المبحث الرّابع: فتح باب الاجتهاد	69
الخاتمة	74
فهارس البحث	76

فهرس الآيات القرآنيّة	77
فهرس الأحاديث النّبويّة	79
فهرس الأعلام	80
فهرس المصطلحات	81
فهرس الأماكِن والبلدان	82
فهرس المصادر والمراجع	83
فهرس الموضوعات	90

الحمد لله